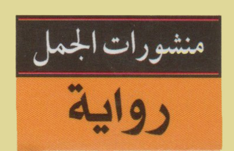
صادق هدايت

البعثة الإسلامية إلى البلاد الإفرنجية و أسطورة الخلق

ترجمة: غسّان حمدان






مكتبة
الفكر الجديد

صادق هدايت: البعثة الإسلامية إلى

البلاد الإفرنجية و أسطورة الخلق




مكتبة
الفكر الجديد

صادق هدايت

البعثة الإسلامية
إلى البلاد الإفرنجية
و
أسطورة الخلق

ترجمة: غسان حمدان

منشورات الجمل



غسان حمدان، ولد في بغداد سنة ١٩٧٣، درس في بغداد وطهران. عمل مترجماً ومعداً لصالح بعض المحطات الإخبارية والتلفزيونية، كما عمل أستاذاً لمادة اللغة الفارسية وآدابها في دمشق. له كتابات وبحوث منشورة في بعض المجلات والمواقع الإلكترونية في علم الاجتماع الإيراني وفلسفة الأديان القديمة منها: الخلاص في الديانات، ملاحظات عن الثقافة الزرادشتية، التصوف في بلاد الشام، التعذيب في الأزمنة الغابرة، حوار الحضارات من منظور علماء الاجتماع في إيران، تاريخ علم الاجتماع في إيران، آراء حول أسباب العولمة، سجال حول العولمة الاقتصادية، عن العولمة السياسية وما إليها، آراء السهروردي في حكمة الإشراق، النور والملائكة عند السهروردي... ترجم عشرات الكتب الأدبية من الفارسية إلى العربية وبالعكس.

صادق هدايت: **البعثة الإسلامية إلى البلاد الإفرنجية و أسطورة الخلق**، الطبعة الأولى
ترجمة: غسّان حمدان

تلفون وفاكس: ٠٠٩٦١ ١ ٣٥٢٣٠٤
ص.ب: ١١٣/٥٤٣٨ ـ بيروت ـ لبنان

ترجمة عن الفارسية
لرواية «البعثة الإسلامية إلى البلاد الإفرنجية»
ولمسرحية «افسانه آفرينش»

Postfach 1127 . 71687 Freiberg a. N. - Germany
WebSite: www.al-kamel.de
E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com



نبذة عن المؤلف

اشتهر صادق هدايت بروايته «البومة العمياء» التي طغت على أعماله الأخرى إذ كُتب حولها الكثير من المقالات والدراسات والكتب التي تناولتها بالدراسة والتحليل من زوايا مختلفة ووجهات نظر متنوّعة، وتُرجمت إلى لغات مختلفة، باعتبارها فاتحة المسيرة الروائية الجادة في إيران، إضافة إلى أنه كان غزير الإنتاج في كتابة القصة القصيرة المتأثرة بوضوح بأسلوب فرانز كافكا السوداوي، وكان هدايت قد ترجم بعض أعماله إلى الفارسية.

ولِد صادق هدايت لعائلة متوسطة في طهران سنة ١٩٠٣ ومات في مسكنه في باريس منتحراً بالغاز. ودُفن في مقبرة الغرباء هناك: پير لاشيز، سنة ١٩٥١. وبين الميلاد والممات أنهى صادق هدايت دراسته الأولية والإعدادية في طهران، ثم سافر إلى باريس لإكمال دراسته العليا، فتنقل بين المدن الأوروبية ليتعلم دون منهج، فزار المتاحف والمعارض،



واستمع إلى محاضرات وحضر حفلات موسيقية، وعاش بين الناس، ولم يتوقف عن الكتابة.

وعاد إلى طهران فاشتغل مدرّساً فترة، ثم أمضى أغلب حياته متقلّباً في وظائف إدارية مختلفة، إلا أنه كان مشمئزاً من الأعمال الإدارية، وانتهى به المطاف إلى أن يعمل مترجماً في معهد الفنون الجميلة في طهران. ثم سافر إلى الهند فتعرّف على مَواطنيه المهاجرين الإيرانيين من الزرادشتيين فيها، وتعلم هناك اللغة الفارسية البهلوية وترجم عنها بعض الآثار. وبعد أن عاد إلى بلاده، حيث بقي مدة، تلّقى دعوة جوليو كوري للمشاركة في المؤتمر التأسيسي لحركة أنصار السلام العالمية لسنة ١٩٤٩، لكنه مُنع من السفر! فبعث برقية إلى جوليو كوري قال فيها: «إن كماشات الإمبريالية في بلادي عرقلت حضوري المؤتمر... اعتبروني معكم... تمنياتي لكم بالنجاح».

ألّف مع ثلاثة من أصدقائه جمعية رباعية، في ما يشبه المزاح والتسلية، لتصير فيما بعد جمعية أدبية فنية تؤثر في أبناء الجيل الذي عاصرها: ويتلخّص نشاطها في أن يقرأ كل واحد من أعضائها نتاجه على الآخر، ويقوم بنقده، ليكتبوا أعمالاً مشتركة حيناً، أو ينشروا كتباً فيها أكثر من موضوع حيناً آخر.



وفي عام ١٩٤٩ سافر إلى فرنسا مرة أخرى، واستمر في الكتابة، حتى أقدم على الانتحار عندما فتح صنبور الغاز لينهي حياته عام ١٩٥١م ، ولم تكن هذه المرة الأولى التي حاول فيها هدايت الانتحار، فقد سبقتها محاولة أخرى حيث ألقى نفسه في نهر «مارن» الفرنسي إلا أن مرور زورق هناك أنقذه من الموت. ويُعزى سبب إقدامه على الانتحار إلى أنه أحسّ بالإحباط لأنه لم يلق ناشراً لكتبه، أو لأن ناشريه غبنوه... وتدور كل هذه التبريرات والتفسيرات حول الكتابة والنشر. ولكن هذا التفسير غير مقنع، فقد بلغت كُتبه وما كُتِب عنه، ما يصعب عدّه. ويكفي القول إنه كتب منذ سنة ١٩٢٨ إلى سنة ١٩٥١ اثنين وعشرين كتاباً، كما أنّ له خمسة كتب بلا تأريخ نشر. ويتوزع نشرها على بومبي في الهند شرقاً، ليمر بطهران وبرلين فيصل باريس غرباً. وصحيح أن بعض كتبه كان على شكل كراريس تقع في بضع عشرات من الصفحات، إلا أن جهد البحث فيها بيّن، وسعيه لإيجاد لغة كتابة جديدة أكثر وضوحاً. كما أنه أتلف قبل انتحاره، بأيام قليلة، أغلب أعماله غير المنشورة.

شملت كتاباته القصة القصيرة والمونولوج الغنائي الساخر والمسرحية، والمقالة الأدبية و/ أو العلمية والسياحية، كما كتب في التاريخ والتحقيق العلمي والترجمة من التراث الـ هلوي فضلاً عن كونه رساماً. ولكن مأثرته المهمة تبقى في



مجال الرواية: فهو أول من كتب رواية حديثة في الفارسية، لذا استحق أن يُعتبر مؤسس الرواية الفارسية الحديثة، كما كان محمد علي جمال زاده مؤسس القصة القصيرة الحديثة.

وتعددت موضوعات كتابته أيضاً، من «فوائد النباتية»، حيث كان نباتياً وتمسك بنباتيته حتى وفاته، إلى «الإنسان والحيوان»، فموقف الإيرانيين من الفتح الإسلامي لإيران، كما في «پروين بنت ساسان-١٩٣١» وإلى التحقيق العلمي في التراث، «أناشيد الخيام-١٩٣٥»، فالحديث عن «أسطورة الخلق».

كان في أدبه يجرّب، لذا يجد القراء تأثير الأدب الألماني - خاصة لمطلع القرن العشرين- واضحاً في كتاباته. والمفاجأة التشيخوفية شاخصة في قصصه، وتكاد بداية قصته «الكلب السائب» تكون ترجمة لأحد فصول رواية جاك لندن (call of the savage) ، وتناوله أحاسيس الكلب ومشاعره منقولة عن الكاتب الأميركي دون شك.

وفي كتابه القيّم «أناشيد الخيام» تجد الروح العاشقة للجمال والطبيعة تتجلّى بأبهى صورها بحيث تجعل المرء لا يصدّق أن مُحباً للجمال والطبيعة هذا الحبّ يمكن أن ينتحر. إلا أن فكرة الموت تسكن أكثر كتاباته، حيث كتب في مقال: «لو لم يكن الموت موجوداً لتمنّاه الجميع»، ثم انصرف إلى



مخاطبة الموت قائلاً: «إنك لست رسول حُزن، بل أنت علاج الروح الذابلة، إنك تفتح بوابة الأمل بوجه اليائسين».

إلا أن الوجه الآخر لصادق هدايت بقي مجهولاً في العالم العربي؛ فقد تأثر هذا الأديب كسائر مثقفي عصره، لأسباب كثيرة، بالنزعة القومية والشوفينية التي عملت على إلقاء اللوم على الإسلام والفاتحين العرب الذين يَرى أنّهم المسبّبون لتخلف المجتمع وإبادة الحضارة الإيرانية. وكان الخطاب القومي الشغل الشاغل لهدايت حتى شكل المضمون الأول الذي تكرر في كل آثاره. أما المضمون الثاني فكان النزعة التشاؤمية التي طغت على أعماله والتي قادته في النهاية إلى الانتحار في باريس سنة ١٩٥١م، وهذا ما تجلّى في أبرز أعماله: البومة العمياء، والكلب الضالّ، وثلاث قطرات من الدم، وبروين ابنة ساسان، ومازيار وغيرها... والتي كان يرى فيها أن العصر الذهبي لإيران يكمن في مرحلة ما قبل الإسلام. وبجملة واحدة يمكن القول إن الفكرة التي ركّز عليها هدايت تكمن في العبارة التي ذكرها في مقدمة كتابه عن رُباعيات الخيّام والذي سمّاه بـ«أناشيد الخيّام» حيث يقول: «إن الرباعيّات هي ثورة الروح الآرِيّة على المعتقدات السامِيّة».





مكتبة
الفكر الجديد

القسم الأول

البعثة الإسلامية إلى البلاد الإفرنجية

رواية




مكتبة
الفكر الجديد

الفصل الأول

وصلت الآن ثلاث رسائل من مراسل مجلة «المنجلاب»[1] الذي كان يرافق قافلة «البعثة الإسلامية»، ويسجل تقاريرها اليومية، ننقلها من اللغة العربية:

«في اليوم الميمون ذي الحظ السعيد الخامس والعشرين من شوّال عام ١٣٤٦ الهجري القمري وصلت دعوة مهمة من مدينة سامراء التابعة للبلاد العربية المباركة إلى نوّاب الأمم المسلمة تدعوهم إلى المشورة حول إرسال جماعة من المبلّغين من أجل نشر الدين الحنيف في العالم. كان السيّد «تاج المتكلّمين» يتولّى الرئاسة، والسيّد «عندليب الإسلام» نائباً للرئيس، والسيّد «سكّان الشريعة» مستشاراً ومحاسباً، والسيّد «سُنّة الأقطاب» كاتب الاختزال في هذه الجمعية. وفضلاً عن جمع كبير من فحول العلماء والقوّاد المسلمين

(١) يعني في الفارسي «الماء الآسن».



المبارزين، شارك النوّاب المحترمون من عدن، والحبشة، والسودان، والزنجبار، ومسقط في هذا المحفل أيضاً؛ وأنا العبد الحقير المملوء تقصيراً: الجرجيس يافت بن إسحق اليسوعي حضرت هناك بصفتي مخبراً ومترجماً لمجلة «المنجلاب» المباركة، وكنت مكلفاً بأن أدوّن خطوة خطوة أحداث هذه القافلة المهمّة حتى تُنشر في تلك المجلّة الشريفة ويطّلع كافّة المسلمين على أعمال وأفعال السادة مبلّغي الدين المُبين، والحركات الإسلامية».

هكذا افتتح السيّد تاج المتكلمين المجلس: «لجميع الذوات المحترمين والعلماء المعظّمين، أهل الزهد والتقوى، وحاملي شرع المصطفى، مُبرهن وواضح أن دين الإسلام المبين يُعدّ أقوى الأديان وأعظمها. من جبال هندوكوش حتى أقصى بلاد جابلقا وجابلسا، والزنجبار، والحبشة، والسودان، وطرابلس، والأندلس التي تُعتبر جميعها من الممالك الحضارية وتقع في الإقليم الرابع؛ ثلاثمائة كرور نسمة».

قال السيد عندليب الإسلام: «اعذرني جداً، ولكن حسب الإحصاء القومي لابني السيد سكان الشريعة، الذي رغم صغر سِنّه يتمتّع بالقدر الكافي والشافي من العلوم المعقولة والمنقولة وقضى ثلاث سنوات من عمره في بلاد الكفّار حتى قام بتأليف



كتاب «زُبدة النجاسات»، فإن هناك ثلاثمئة ألف «مليان» نسمة تنطق بالشهادتين».

السيد سكان الشريعة: «هذا صحيح».

السيد تاج المتكلّمين: «نعم، كان قصدي أنا الحقير عديم البضاعة هو ذا، ولا غير؛ وقد قيل: «الإنسان السهو والنسيان». ثلاثمئة ألف «مليان»، ربما أكثر تشرّفوا بالدين الإسلامي الحنيف، وحسب ابن السيد عندليب الإسلام، السيد سكان الشريعة الذي قضى أكثر من أربع سنوات من عمره الشريف في بلاد الكفّار ويتمتّع بنصيب وافر من العلوم المعلومة والمجهولة، وألّف كتاب «زُبدة النجاسات»، فقد اكتشف الناس أخيراً في بلاد الأتازوني[1] من الإقليم الثالث، فلسفة الإسلام».

السيّد سكان الشريعة: «نعم، لقد حظروا حديثاً في بلاد الأتازوني تناول المسكرات. واتفق فلاسفة وحكماء تلك البلاد معي أنا الحقير بعد مباحثات ومناظرات ومجادلات أن الخِتان له فوائد كثيرة للصحّة، وللطلاق وتعدّد الزوجات مزايا كثيرة للأمزجة السوداء والبلغمية، ويعتقدون أن الصيام يعدّل الشهيّة. وأنا الحقير أيضاً قرأتُ ربما في تفسير «مرّات

(١) يقصد العالم الجديد أو أميركا.



الاشتباه» أنه مفيد جداً للدوسنطاريا وحرقة البول».

السيّد تاج المتكلّمين: «إذاً على هذا الأساس أسلم سُكان بلاد الأتازوني، أو سطع النور من وجناتهم. في هذه الحالة المكان الوحيد الذي يبقى هو بلاد أوروبا والفرنجة إذ قلوبهم أكثر ظلاماً من الحجر الأسود. لذلك حسب اعتقادي أنا العاجز ينبغي، أو من مهام علماء وحافظي أساس الشريعة، أن ينتخبوا بعضاً من بينهم ويسوقوهم باتجاه بلاد الكفّار كي يهدوهم من طريق الضلالة إلى جادة الحقيقة ويقتلعوا جذور الكفر والإلحاد». (تصفيق الحاضرين)

السيّد عمود الإسلام: «بالتأكيد، هذه فكرة مبتكرة، ولكني أعتقد أنه يجب أولاً أن نستخير».

السيّد قوت لا يموت، الممثل المحترم لعرب عنيزة: «لِنُسمّي هذه البعثة «الجهاد الإسلامية»، ونضرب أعناق الرجال الكفّار بالسيوف ونقوم بتقسيم نسائهم وإبلهم بيننا نحن المسلمين».

الشيخ أبو المندرس، ممثل مسقط، وهو يبحث في جلبابه قال: «أهلاً وسهلاً، مرحباً».

نهض السيد توبانانا، الممثل المحترم لزنجبار، عارياً واتّكأ على رمحه قائلاً: «لحم الأوادم جداً لذيذ، الإفرنجي أبيض، أنا باليوم أثنين آكل».



السيد تاج المتكلمين: «بالتأكيد، قطعاً إذا لم يسلموا سنُبيدهم عن بكرة أبيهم. إذاً في هذه الحالة ليست هناك أي معارضة مع أصل الموضوع أن نرسل جماعة من العلماء إلى بلاد الكفّار بصفة مبلّغين؟».

السيد عندليب الإسلام: «أستغفر الله، كل من يشكّ ستصبح امرأته حراماً عليه ويهدر دمه. واجب كل مسلم أن يأمر الكفّار بالمعروف وينهيهم عن المنكر. ولكن بزعمي أنا الحقير أن الأمر الأهمّ وفي الأولوية القصوى الوجوهات وميزانية هذه الجمعية، ويجب أن نعرف من أي مكان يتمّ تأمينها».

السيد تاج المتكلمين: «على الذوات المحترمين واضح وعيان بل أظهر من الشمس أنه في بداية الأمر ستكون هناك تكاليف كبيرة ستقع على عاتق هذه الجمعية وسيتمّ تأمينها من الموقوفات المرصودة. وفضلاً عن ذلك لن تبخل الأمم المسلمة بالمساعدة والإعانة حسب استطاعتها. ولكن يُعتقد أنّه يمكننا لاحقاً أن نفرض بعض التكاليف على الكفّار».

قال أبو عُبيد عصعص بن الناسور، ممثل الصحراء القاحلة: «ستُحسب مبالغ بصفة خراج وجزية على الكفار».

قال السيّد سنة الأقطاب: «في هذه الحالة خلق الله العالم من أجل خمسة أشخاص فقط ومن خمسة أصابع كل شخص



يعود واحد إلى السادات. وأنا الذي أُعدّ من أبناء وأحفاد السادات سيعود خمسه إليّ».

السيد عندليب الإسلام: «حسب كلام ابني السيد سكان الشريعة الذي يتمتع بقدر كافٍ وشافٍ من العلوم المنقولة والمعقولة رغم صِغر سِنّه، وقضى خمس سنوات من عمره في بلاد الكفّار وألّف كتاب «زُبدة النجاسات» وهو أساس الشريعة الإسلامية، تجول نقود كثيرة في بلاد الأتازوني من الإقليم السابع».

السيّد سكّان الشريعة: «في بلاد الأتازوني وهو من الإقليم الثاني عشر ثمة أناس أغنياء كُثر وكل واحد منهم يصبح مسلماً سيكون واجب الحج. وحسب هذا الأمر يمكن وضع جماعة من قُطّاع الطرق في طريق مكّة حتى يقوموا بسرقتهم، وبالمناسبة يضع المأمورون القمل على أجسادهم حتى يُضحّوا لله بخروف في عيد الأضحى دِيةً لكل قملة يقتلونها. بالطبع من الأحوط أن ينحروا خروفين لأنهم مهما يكونوا فهم دخلوا حديثاً في الإسلام وطائفتهم يعبدون الصليب. ومن لم يقبل الإسلام عليه أن يدفع الخراج والجزية إلى بيت مال المسلمين وإلا ستصبح أموالهم مباحة وستحرم نساؤهم عليهم ويصبحون مهدوري الدم». (تصفيق الحاضرين)



قوت لا يموت: «إذا دفعوا السحالي وجرذان الصحراء بدلاً عن النقود، سنقبل».

السيد تاج المتكلمين: «طبعاً. إذن في هذه الحالة ليس هناك خلاف أن يتمّ تأمين تكاليف هذه الجمعية من محل الموقوفات، ولكن يجب أن نعرف: هل هناك في بلاد الكفّار مكان وموضع خاصّان تمّ تخصيصهما لهذه الجمعية وتم تأمينهما من المال الحلال ولم يكن المُلك مغصوباً؟».

السيد عندليب الإسلام: «أنا الفقير منذ فترة طويلة أقوم بالترصّد ومشغول بالتتبّع والتفحّص والتجسّس والتحقيق. خاصةً ابني السيد سكان الشريعة الذي يتمتّع بقدر كافٍ من العلوم المعقولة والمنقولة وقام بتأليف كتاب «زُبدة النجاسات»، وهو أساس الشريعة الإسلامية، حول آداب الذهاب لقضاء الحاجة والطهارة. وقضى ستة أعوام من عمره الشريف في بلاد الكفر، قال: إن في مدينة البرس»...

السيّد سكّان الشريعة: «نعم، في مدينة «الباريس» من البلاد الإفرنجية هناك محل معروف باسم آل ضياء (Alesia) ويبدو وكأن ضياء هذا هو حفيد عمة مسلم بن عقيل حيث لاحقه أحد الكفّار باسم سِنان بن أنس وتتبّع ناقته، فهرب ذلك المعصوم إلى البلاد الإفرنجية ويُحتمَل بشكل قوي أن يكون اشتهر ذلك المكان باسم هذا الجليل. وأنا الحقير



وجدت هذا الموضوع في كتاب «اختناق الشهداء». بالطبع ينبغي بذل الجهد الحثيث كي نُخرج مقام ذلك الخالد في الجنان من قبضة الكفّار، ونجعله مقرّاً لهذه الجمعية وهو مناسب جداً».

قال الشيخ خرطوم الخائف، ممثل الوهّابيّين: «أنا أعارض البناء، لأن أجدادنا كانوا يعيشون تحت الخيام مع السحالي وحليب النوق، فعلى جميع المسلمين أن يفعلوا الأمر ذاته».

السيّد عندليب الإسلام: «كما جاء في الحديث أن «التقيّة ديني ودين آبائي»، إذن علينا أن نقوم بالتقيّة في البداية حتى يمكننا أن نسيطر على الكفّار».

السيّد سنة الأقطاب: «في هذه الحالة سيكون الرقص جائزاً حسب الآية الشريفة «كونوا قِرَدة خاسئين»، إذ يقول حقه تعالى بنفسه هزّوا الأرداف لأن فيها خاصّية، كما ورغماً عن أنف الكفّار فالإسلام دينٌ متجرّدٌ. ألم يقم سماحته قبل ١٣٠٠ سنة برقص «فاكس تروت» حول الحجر الأسود كما يقوم الحجّاج الآن بالهرولة».

السيّد عندليب الإسلام: «بالطبع، كل هذا يعود إلى الأحداث حتى تقرر جمعية البعثة الإسلامية مصلحتها. في الوقت الحالي هذه المفاوضات لا محلّ لها من الإعراب، من



الأفضل أن يقرأ السيد تاج أهداف هذه الجمعية».

السيّد تاج المتكلّمين: «على الذوات المحترمين والعلماء العظام وجميع سكان العالم من الصين وما وراءها وبلاد اليأجوج والمأجوج حتى جابلقا وجابلسا وهما أرض القردة ويتكلم الجميع فيها باللغة العربية الفصحى، مُبرهن وواضح أنّ كتابنا السماوي نحن المسلمين يشمل كل المعلومات الدنيوية والأخروية وكلّ كلمة منه لها مئة ألف معنى».

السيّد سُنّة الأقطاب: «كما أنّ اختراع هذا الفندق المبين من بركة هذا الكتاب المبين القرآن».

السيّد تاج المتكلّمين: «نعم، إضافةً إلى الفلسفات والمواعظ والسكريات والمعلومات الأخرى، يجب أن نعرف أن كتابنا نحن المسلمين يحوي تعاليم وقوانين عملية وعلى هذا الأساس يجب أن نُري تفوّقنا للكفّار».

عندليب الإسلام: «إسمحوا أن أبيّن أنّ القصد من لزوم وجود معلّم عملي حسب قول المتأثرين بالغرب «البروفيسور» هو أن يبيّن للتلاميذ مسائل الفقه والأصول مثل: التطهير، الحيض، النفاس، غسل الجنابة، الشكّيات، السهويات، المُبطِلات، الواجبات، المقدّمات، المُقارنات للاستحاضة الكثيرة والقليلة والمتوسطة وخاصةً آداب الطهارة بشكل عملي وأن يحقّنها للكفار كي تصبح أساس فكرهم».



السيّد تاج المتكلمين: «هذا صحيح، ولكن بما أن شرح إجراءات وأعمال هذه البعثة موسّعة جدّاً وتأخذ وقتاً كثيراً لذلك أكتفي بالإشارة إلى نقاط عدّة حتى يعرف السادة العظام كم هو صعب ومُضنٍ عمل هذه الجمعية».

أولاً: «فرض اللغة العربية الفصحى وصرفها ونحوها بحيث يتلو الكفّار القرآن بالتجويد الكامل وقواعد الفصل والوصل وعلائم السجاء باللغة العربية. ولكن إذا لم يفهموا معناه ليست بمشكلة. بالتأكيد من الأفضل ألا يفهموا».

ثانياً: «هدم كل أبنية الكفار لأن مبانيهم مرتفعة وذات طوابق عدة وما من سياج حولها بحيث يمكن رؤية عورة «الخاتونات» من الأماكن المنخفضة إلى الأعلى وهذا هو الكفر والزندقة بعينها. ووفقاً للمذهب الإسلامي أن تبنى الغرف منخفضة وبالطين وهذا هو الأفضل. لأن هذا العالم الداخلي هو معبر ولا يستحسن استحكامه والتعلّق به. بالتأكيد هدم كل المسارح، المتاحف، دور العرض، الكنائس، المدارس وغيرها من مهام هذه الجمعية»...

الشيخ خرطوم الخائف: «أحسنت، أحسنت».

السيّد سكّان الشريعة: «بالتأكيد يلزم أن يعملوا مطابقاً للنصّ الصريح وبحكم الآيات القرآنية والفريضة السجائية والسُّنّة النبوية وحديث المصطفى. ولكن حسب ادّعائي أنا



الحقير يجب الاحتفاظ بواحدة من هاته كنموذج حتى نُريها للعالم كأساس للضلالة. وإن كانت هناك ميزانية كافية أنا مستعد أن أشتغل بصفة متولٍ في إحدى دور العرض باسم فولي برجر "Folie Bergere" حتى أتفرّغ للتبليغ والعبادة».

السيد عندليب الإسلام: بالتأكيد، بالتأكيد هل هناك أمر أفضل من هذا؟».

السيّد تاج المتكلّمين:

«ثالثاً: من مهام هذه الجمعية بناء الحمّامات وبيوت الخلاء على الطراز الإسلامي كما جاء في كتاب «زُبدة النجاسات»، وبالطبع يُستحبّ أن تُرى النجاسة بالعين، وبما أن الكفّار يفتقدون علم الطهارة، ونعوذ بالله، يمسحون أنفسهم بالورق فباعتقادي أنا المخلّص أن نرسل إليهم عدداً من الأباريق. وبالمناسبة يجب أن تكون صُنعت في الممالك الإسلامية.

رابعاً: حفر السواقي في الشوارع وتسيير المياه فيها حتى يصبح الشارع عاماً وفي متناول يد المسلمين وعند الحاجة تصل أياديهم إلى الماء.

خامساً: تنظيم غسل الأموات ودفنهم، وأسلوب المآتم والتكاليف، ومجالس الرثاء، وبناء المساجد، وإحداث مقامات أبناء الأئمة، والتكايا، والنذور، والأضحية، والحجّ،



والزكاة، والخُمس، وتهجير جمع من فقراء سامرّاء إلى بلاد الكفر كي يعلّموهم التسوّل لأنّ الإسلام هو مذهب الفقر والذلّة وخاص لتلك الدنيا.

سادساً: بالتأكيد، إن ارتداء الأحذية والجزمات والملابس الضيّقة أمر مكروه عند الصلاة وتأدية آداب الشرع المبين. لأن على المسلم أن يكون له لباس جاهز للطهارة والعبادة في أي ساعة وأي حالة. لذلك يلزم على عموم المسلمين أن ينتعلوا الخُفَّين وأن تكون لهم أكمام عريضة. إن أفضل الملابس للرجال الملابس التحتية والعباءة حيث تتطابق مع فلسفة الشريعة».

السيّد سكّان الشريعة: «بالطبع يُستحبّ أن يرتدوا العباءة. فأنا الحقير أتذكّر أنّني قرأت في كتاب «تأريخ العباءة ومعاطف الرُّعاة» من تأليف أُعجوبة الدهر مِقراض النواسير، عندما هجم العرب على بلاد الروم، لفّ العرب جلود الإبل حول أنفسهم ولكن ما أن دخلوا مخزن حبوب الروم وجدوا أكياساً كثيرة مليئة بالتبن والشعير ومن فرط جوعهم ثقبوا أسفل الأكياس وانهمكوا يأكلون من محتوياتها بولع ونهم. وبمجرّد وصولهم إلى الأعلى ثقبوا رؤوسها وأخرجوا رؤوسهم منها وأيديهم من طرفيها ومنذ ذلك الوقت أمست العباءة رائجة».

الشيخ تمساح بن نسناس: «بما أنّني أقوم بتأليف كتاب



باسم «آثار الإسلام في سواحل الأنهار» وسوف أتكلّم فيه عن مناقب حليب النوق وكباب السحالي والتمر، اسمحوا لي أن أُدرج هذا الموضوع هناك إذ يُعدّ مرجعاً ممتازاً جدّاً».

تاج المتكلّمين:

«وأمّا تاسعاً: إنّ نساء الكفّار مكشوفات العورة يرقصن في الملأ العام مع الرجال ويقمن بالسحاق والملامسة، بالتأكيد يجب أن نسترهنّ بقيد الحجاب كي لا يوقعوا الرجال بحبائل الشيطان. وقد جاء فسادهم الأخلاقي بسبب انعدام تعدّد الزوجات، وزواج المتعة، والمُحلّل والطلاق. كما أن شعبهم يأكل، من فرط الجوع، السلطعون والضفادع ولحم الخنزير ولا يبسملون عند ذبح هذه الحيوانات. إذاً يجب قياس أساس الضلال من هنا.

عاشراً: في بلاد الكفّار هناك اهتمام شديد للهو والمرح والرسم والموسيقى بشكل مفرط. بالتأكيد يتوجّب على المسلمين أن يهشّموا آلات الغناء والموسيقى وأن يرسلوا مكانها الوُعّاظ وقُرّاء المراثي، ومدّاحي الأئمّة إلى هناك كي يهدوا الكفّار إلى الصراط المستقيم. وأيضاً يجب حرق كل لوحات الرسم وكسر التماثيل كما فعل حضرة إبراهيم مع قوم لوط. بالطبع إن كانت هناك بعض الحاجات النفيسة والقيّمة يجب أن تذهب إلى بيت مال المسلمين. من الواضح أنّ جُلَّ



اهتمام الكفّار بالدنيا لذلك يجب أن نعظهم حول تلك الدنيا، وضغط القبر، والنكير والمنكر، والجحيم وثُعبانه، واليوم الذي يعادل ٥٠٠٠٠ سنة، والكلب ذي أربع عيون في الجحيم، وظهور حمار الدجّال، وما قدّر الله والقضاء والقدر. وأيضاً يجب أن يشرحوا حول فضائل النعيم والثواب الأخروي. وأن يقولوا إن في الجنّة يُعطى للرجال المسلمين حُورِيّات والمرأة المسلمة غلمان. وسيكون ثواب أعمالهم في الجنّة سبعين ألف وقصر من زُمرّد فيه سبعون ألف غرفة. وثمّة ملائكة هناك رؤوسها في الغرب وأرجلها في الشرق. وفضلاً عن ذلك برأيي أنا الحقير تعاطي القليل من الأفيون مُستحبّ لهم حتى ينبّه الكفّار إلى العُقبى والآخرة».

السيّد سكّان الشريعة: «حسب اعتقادي أنا الحقير هذه الشروح زائدة، مجرّد أن قلتم أن نهدي الكفّار إلى الدين الإسلامي الحنيف سيشمل كل هذه الشروط».

تاج المتكلّمين: «قصدي أنا الحقير هو الإشارة إلى أساس ضلال عابدي الصلبان والمشاكل التي سيواجهها مبلّغو البعثة الإسلامية. مثالاً على ذلك يُحتمَل أن يكون القوم غير مسلمين مثل طائفة اليهود، ولكن تشبه أساليب عادات دينهم وتقاليدهم عادات المسلمين وقريبة لها، وبمجرّد أن يدخلوا الدين الحنيف يُعدّون من المختونين ويعتقدون بضغط القبر ومنكر



ونكير وكل هذه الفلسفات لأنهم من الكفّار أصحاب الكتاب. ولكن كفّار الفرنجة الذين اشتهروا بصفة عابدي الصلبان، لا يؤمنون بشيء فكل واحد منهم كافر حربي (الحرابة) ويجب علينا أن نعيد كل هذه الأمور أو نبيد نسلهم. لكي يصبح جميع العالم مسلماً ويمسي العباد من المقرّبين لله».

الشيخ تمساح بن نسناس: «وفي حال عارضوا سنجدع أنوفهم ونصلم آذانهم ونمرّرها في الخيوط وسنقوم بتقسيم نسائهم وإبلهم».

السيّد عندليب الإسلام: «لا تنسَ أنه يجب إرسال تُحف وهدايا من قبل الرئيس إلى الكفّار الذين يتشرّفون بالدين الحنيف وذلك من أجل تشجيعهم، مثل: الكفن المتبرّك، حصاة للسجود عليها، التسبيح، حِرز جواد، دعاء دفع غريب كز، دعاء لكل الأوقات، تعويذة من أجل الحظ السعيد، خلعة ياسين، نعال وإبريق المرحاض حيث تنفع لأداء الفرائض المذهبية ورسومها. وبالأخص أقترح أن يتمّ إهداء نسخة من كتاب «زُبدة النجاسات» الذي ألّفه ابني سماحة سكان الشريعة، الذي قضى سبع سنوات من عمره الشريف بين الكفّار ويتمتّع بقدر كاف من العلوم المعلومة والمنقولة والمعقولة، إلى الأشخاص البارزين».

الألولك الجاليزية: «لنحرق مكتبات الكفّار ونُهدِهم



عوضاً عن ذلك نسخة من كتاب «زبدة النجاسات» إذ يكفي لهم، حيث فيه جميع العلوم الدنيوية والأُخروية».

منجنيق العُلماء: «قطعاً بالتأكيد، إن «زُبدة النجاسات» يكفي لأنّ مختصر أهداف الإسلام هو أسلموا يعني آمنوا حسب النص الصريح لزُبدة النجاسات وإلا سنقتلكم أو تدفعون الخراج إلى بيت مال المسلمين. بالتأكيد على الكفّار أن يدفعوا إتاوة الطريق للمسلمين». (تصفيق الحاضرين)

تاج المتكلمين: «إذن على هذا الأساس تمّت موافقة الجميع واتُّخذ القرار على أن نرسل هذه الجمعية إلى الكفّار، وما من معارضة في هذا الأمر. ولكن حسب اعتقادي أنا الحقير يجب أن نعمل حسب أسلوب دين النبي حيث قام سماحته باحترام عشيرته وعائلته وتقديرهم وجعل أحفاده قبل ولادتهم أئمّة واعتبر قومه من السادات وفرض احترامهم على جميع المسلمين. وبما أن جميع تكاليف هذه الحركة من الموقوفات لذلك جميع الأشخاص الذين يتمّ انتخابهم ينبغي أن يكونوا من العلماء والسادات».

عندليب الإسلام: «هذا صحيح، بالتأكيد ما من شخص أصلح وأبرز من السيد تاج لذلك نختاره لرئاسة هذه الجمعية».

سكّان الشريعة: «أهنئ جميع المسلمين والمسلمات على حُسن الانتخاب هذا».



سنة الأقطاب: «بالطبع لا شيء أفضل من هذا».

تاج المتكلّمين: «أنا من حُسن نيّة ولُطف السادة ممثّلي الأمم الإسلامية أصبح لساني متلعثماً ونُطقي قاصراً. ولكن السيّد عندليب الإسلام من الأساتذة الفقهاء وبالتأكيد حضوره الشريف في جهاد كهذا يُعدّ من الواجبات. أقترح أن يتمّ تعيينهم بصفة نائب الرئيس وابنه، السيد سكان الشريعة الذي قضى تسع سنوات من عمره الشريف في بلاد الكفّار ويتمتّع بشكل كافٍ وشافٍ من المعلوم والمجهول بحيث يُعدّ كتابه النفيس «زُبدة النجاسات» أفضل وسيلة للتعريف عنه وشاهداً على ادّعائي ويتكلّم مثل العندليب باللغات العربية القطبية الشامية البربرية، الجزائرية، الفلسطينية، البصرية، البغدادية وغيرها، أن يتفضّل ويُحمّل الجمعية منّية ويجعلنا فخورين بلطفه بقبول منصبَي أمين الصندوق والمترجم. يعني أن يعمل ذلك من باب الثواب الأُخروي لأن هذا العمل ما من مردود مالي له قط».

سكّان الشريعة: «في الحقيقة لا أعرف بأي لغة أشكر حُسن ظنّ السيّد تاج هذا. بالتأكيد لما وافقت لو لم يكن من أجله والنتائج المعنوية لهذا العمل». (تصفيق الحاضرين الممتد)

عندليب الإسلام: «أنا خجِل جدّاً من ألطاف السيّد تاج



وجميع ممثّلي الإسلام المحترمين الحاضرين هنا. ولكن اسمحوا لي أن أضيف بما أنّه يلزم مُدلِّك واحد لخِتان الكفّار فينبغي أن نختار السيّد سنة الأقطاب وهو ابن خالتي ليقوم بخِتان غالبية الكفّار الذين يدخلون الدين الحنيف. وفضلاً عن ذلك أصبح مرّات عدّة محللاً شرعياً له اليد الطُّولى في جذب انتباه الناس وإقامة مراسم العزاء الخاصّة بالأئمّة. وحتّى أنّه يضع العقارب الخطيرة في راحة يده، ولم يخلق الله شخصاً أفضل منه من أجل بيع دعاء النزلة ودعاء لجميع الأوقات كما أنه يتمتّع بشكل كاف بالآداب الأُخروية والدنيوية لذلك أقترحه بصفة بروفيسور الفقهيّات».

تاج المتكلّمين: «بالطبع، ماذا أفضل من هذا؟ من الواضح أنّنا جمعٌ من الفدائيين نهب أرواحنا من أجل خير العُقبى والأجر الأُخروي ولتقبّل مهام خطيرة كهذه». (تصفيق الحاضرين)

بعد ذلك أخرج السيّد الرئيس محضر الجلسة الذي كان قد أعدّه سابقاً من شال خصره. وعرضه على السادة الوكلاء حتى تتمّ المصادقة عليه وتوقيعه. وكان مُفاده كالآتي:

«في اليوم الميمون ذي الحظ السعيد من شهر شوّال سنة ١٣٤٦ الهجرية القمرية في مدينة سامرّاء المباركة من البلاد العربية، صمّم الأعضاء على اتخاذ قرار والمصادقة عليه في



جلسة تشكّلت من قِبل الفقهاء الأجلّاء والعلماء الحكماء والممثلين المحترمين للشعوب الإسلامية المعتقدة بالإسلام، أن يسافر السادة المذكورة أسماؤهم لاحقاً بالتفصيل وهم: سماحة السيد تاج المتكلّمين بصفته رئيساً، والسيّد عندليب الإسلام بصفته نائب الرئيس والسكرتير الخاص، والسيّد سكان الشريعة بصفة أمين الصندوق والمترجم، والسيّد سنة الأقطاب بصفة أستاذ العلوم الفقهية، إلى بلاد الفرنجة وذلك من أجل تبليغ الدين المُبين حتى يدعوا الكفّار إلى دين الإسلام الحنيف ويقوموا بالتبليغ. في الوقت الحالي تمّ تخصيص مبلغ مئة مليان ليرة إنجريزية لتغطية تكاليف محل الموقوفات. كما تمّت المصادقة على أن يقوم السادة المذكورة أسماؤهم آنفاً أن يصرفوا الأموال كما يشاؤون».

اقترح السيّد تاج أن يشربوا شراباً بصحّة الحاضرين، ولكن ممثّل أعراب عنيزة طلب حليب النوق وتمّ تداول قربة حليب النوق مهلّلين من يد إلى أخرى ومن فم إلى آخر. بعد ذلك وضع كلٌّ من ممثّلي الأُمم الإسلامية المحترمين إصبعه في الحبر ثم بصموا أسفل الورقة لينتهي المجلس بسعادة وسرور.

سامرّاء في ٢٥ شوال ١٣٤٦

الجرجيس يافت بن إسحق اليسوعي




مكتبة
الفكر الجديد

الفصل الثاني

المعرض الشرقي

استيقظت صباحاً على صوت صراخ نشاز، ورأيت أن رفقاء السفر ينظرون بذعر إلى السيد سنة الأقطاب الذي كان قد سحب نافذة مقطورة القطار وهو يرتدي ملابسه الداخلية وكان ينظر إلى الغابة واضعاً يده تحت ذقنه وكان يغنّي بصوت نشاز. ضحك عندما رآني وقال: «كان صوتي أفضل من هذا. جئت بضرّة لزوجتي فأعطتني سمّاً انتقاما فبحّ صوتي - الله يرحمها! الآن سلمت روحها».

قُلت: «أليس عيباً عليك أن تغنّي بهذه اللحية والشارب أمام الكفّار؟».

- أترى شعر رأسي هذا بفعل الأفكار والتخيّلات؟ لقد ابيّض بسبب الأمراض.

وأخيراً أفهمته بمشقّة وكلام كثيرين أن يرتدي ملابسه فقد بقيت ساعة حتّى وصولنا إلى مدينة برلين. رجاني سنة الأقطاب أن آخذه إلى السوق بمجرّد دخولنا برلين حتى يُرسل



لابنته سكينة «هامستر»[1]. ثم ذهبنا عند سكان الشريعة الذي كان يدخّن بنهم سجائر «عبد الله» في ثالث مقطورة أبعد منّا وقبّة قميصه مفتوحة وقد خرج شعر صدره ويبدو رأسه المحلوق واضحاً، وكان ينفخ الدخان بمهارة بوجه عجوز بولندية يهودية. كان سكان الشريعة يتكلم بلغة الإشارة مع تلك المرأة ويضحكان معاً. وكان منشغلاً بحيث لم ينتبه لحضورنا. ونحن أيضاً لم نقاطعهما فذهبنا إلى السيّدين تاج وعندليب لأن السيّد تاج كان يبدو مريضاً ليلة أمس. في هذه الأثناء كان القطار يجتاز الغابة بأقصى سرعته. عبرنا من ممرّه المتزحلق. كان السيّدان تاج وعندليب قد أغلقا باب مقصورتيهما حتى لا تدخل أنفاس الكفّار إليهما، لأنهما كانا قد حجزا هذه المقصورة بمبلغ كبير لرؤساء «البعثة الإسلامية» حتى لا يكون لهم أي احتكاك مع الكفّار. ما أن دخلنا رأينا السيّد عندليب وهو يقرأ «إنّا أنزلنا» وينفخ حول نفسه بعينين منتشيتين بفعل الأفيون وكان قد لفّ رأسه بقطعة قماش أبيض ومع كل هزّة قطار كأنما تُريد روحه أن تفارق جسده. وكان يخشى أن يعرف الكفّار أنّ هناك عدداً من المسلمين في القطار ويقوموا بفعل خباثتهم بتحيطم القطار ويأخذوهم إلى مكان مجهول كي يبيدوا المسلمين.

---

١) نوع من الفئران الأليفة.



ما أن رآني انفرجت أساريره فقال: «فديتكما، أتوسّل إليكما، فنحن في ولاية الغربة أخشى أن يعطينا الكفّار السمّ! الليلة كلّها كنت أقرأ سورة العنكبوت وآية الكرسي حتّى نكون آمنين من شرّ الكفّار». سألنا السيّد تاج وهو ما يزال في ملابسه الداخلية وقبّعة النوم على رأسه حيث كان ينفخ في سماور[1] الصفيح يغلي فيه ورد لسان الثور: «أين السيّد سكان الشريعة؟».

قال سُنّة: «يُهدي وليّة كافرة إلى الدين الإسلامي الحنيف».

تاج: «هنيئاً للحليب الحلال الذي شربه! حسناً، كم بقي لدينا لنصل؟».

سُنّة: «بعد نصف ساعة سنكون في مدينة برلين، يجب أن نضع الحقائب في متناول اليد ونرتدي ملابسنا فهنا بلاد الفرنجة».

عندليب الإسلام: «قُلتَ مدينة برلين؟ لقد قرأت اسم هذه المدينة في كتاب «المهالك والمخاوف». ومؤلّفه من المتبحّرين حيث ذكرها بإسهاب وأتذكّر جيّداً أنّه قال «إنّ الاسم الأصلي للمدينة هو «البرّ اللّيّن» يعني الأرض «المُسهلة»

---

(١) إناء يُعد من أدوات صنع الشاي حيث يتم غلي الماء ووضع إبريق الشاي عليه وهو ساخن يستخدم غالباً في إيران والعراق وروسيا.



لأنها تسبّب الليونة، وبما أنّ الكسرة فرضت نفسها تحت الياء بشكل ثقيل أصبحت معلولة وقد تمّ حذف الألف واللام من «اللّين» حتى يكون مختصراً. ثم حذفوا الألف واللام من «البرّ» لأنه كان اسم علم فأصبح برلين واشتهر بهذا الاسم لكثرة استعماله. بالتأكيد سُكّانها من العرب والمسلمين والإسهال فيها شائع».

تاج: «في الحقيقة إنّ اللغة العربية هي المنطق بالتمام باعتقادي أنا العاجز يجب أن نجعل أحدهم مسلماً محض دخولنا إلى برلين وأن نبرق إلى جميع البلدان الإسلامية من جبال هندوكوش إلى أقصى بلاد جابلقا وجابلسا، وجزيرة الواق واق، والزنجبار، والحبشة، والسودان، والممالك الإسلامية كلّها».

عندليب: «إذا وصلنا نحن بالسلامة».

تاج: «اللعنة على آبائهم! ليكن الحديث بيننا، هل الحمار أفضل، أم هذا الذي لا أعرف ما أُسمّيه؟ يصبّ الماء والنار منه ويصفّر ويخرج الصوت والدخان ويقتل المرء ثلاثمئة مرّة كي يوصله إلى مقصده. هذا هو الحمار الدجّال. أبي المرحوم ذهب من سامرّاء حتى خانقين بحمار بائس، ومع أنّهم سرقوه مرّات لكنه وصل بسلامة، ولكننا هنا لسنا مطمئنين على حياتنا».



عندليب: «هل صناديق أباريق المرحاض والنعل وضِعت في مكان آمن حتّى لا تكون بجوار رطوبة الكفّار؟».

سنّة: «الجافّ مع الجافّ طاهر بلا خلاف، وهذا نصّ صريح وحديث مُعتبَر».

عندليب: «لقد نذرت أن أنحر خروفاً بيدي بمجرد وصولنا سالمين وأوزّع لحمه بين الفقراء. إحذر يا سيّد سُنّة أن يبيعوا لنا خنزيراً مكان الخروف، فيجب توقّع كلّ شيء من الكفّار».

تاج: « كلّ وجودي أصبح نجِساً وعباءتي تنجّست؛ سوف أغتسل حال دخولنا».

عندليب: «بالمناسبة، ماذا كنت تريد يا سيّد تاج ليلة أمس؟ لقد ذُبت خجلاً، تصوّرت أن بعض الكفّار يريدون تشويه سُمعتنا».

تاج: «ليلة أمس رأيت والدة أحمد في المنام، وهذه أول مرّة في حياتي لست مع امرأة لمدّة أسبوع. في الحقيقة نحن نقوم بالجهاد الأكبر ونذرنا أنفسنا للدين المُبين وانتحرنا في طريق الإسلام وأصبحنا من الشهداء! (سجّل هذا الموضوع من أجل مجلة المنجلاب، يا سيد جرجيس) إذا مُتُّ ادفنوني في آل ضياء في مدينة الباريس، و ضعوا اسم «مقام» على



ضريحي حتّى يُصبح مزاراً للمسلمين. بالمناسبة ماذا سيكون أجرنا في تلك الدنيا حتى يعوّض كل خسائرنا ومشقاتنا جميعاً؟! أعتقد أنّه من أجل إزالة التعب ودفع الأضرار لن يكون سيّئاً أن يتزوّج كُلّ واحد منّا بمجرّد دخولنا مع ثلاث زوجات متعة».

عندليب: «حلمتُ ليلة أمس أنّه جاءني سيّد جليل ومبجّل يشعّ النور منه مثل منبع أخضر حيث يرتدي ملابس داخلية خضراء وأخذ بيده الخضراء المباركة يدي وسحبني إلى بستان كان مليئاً بالوحوش والطيور والحيوانات المجترّة والزواحف والقوارض. وبمحض استيقاظي جعلتني رائحة العطر والعبير أدخل في غيبوبة».

تاج: «هذا غريب، هذا غريب ما أن نصل سوف أراجع كتاب تفسير الأحلام للنبي دانيال أو كتاب تفسير الأحلام للنبي يوسف».

عند ذلك دخل السيّد سكّان الشريعة وقال: «هنا لم تعد بلاد العرب، لا يجب أن نخدع أنفسنا. ومن كثرة هواجسكم ووساوسكم لم تسمحوا أن نُشبع أنفسنا جيداً. لدّي هنا ثلاث عُلب من اللحوم الموجودة في صناديق الصفيح، وكما سمعت إنّ المسلمين هم من يقومون بتعبئتها».

سُنّة: «الاحتياط أوجب، فأنا لن أتذوّقه. حتى إذا



سقطت قطرة من الخمر في البحر ثم يملأون البحر بالتراب بحيث يصبح تلاّ هناك وتنمو على قمّته الأعشاب ويمرّ قطيع من الخِرفان هناك ويرتع من ذلك العشب، فلن آكل من لحوم تلك الخِرفان».

عندليب: «لا تهتمّوا لذلك، فما أن ندخل إلى مدينة «البرّ الليّن» سنضع طنجرة كبيرة ملأى بحساء البقوليات. ونملأ بطوننا لنشبع جيداً».

عند ذلك لاحت من بعيد معالم المدينة، الأبنية المرتفعة، والبساتين الخضراء، وباصات التراموايّ التي كانت تأتي وتذهب وهي محمّلة بالناس. وفي محطّة القطار تحرّك الناس بصخب؛ كل واحد كان يمُرّ على حقيبته، وكان هناك من يصعد ومن ينزل. وأخيراً نزلت جمعية «البعثة الإسلامية» في محطّة «فريدريشه ستراسه» بعد دفعها غرامة مالية كبيرة تعويضاً عن تسبّبهم بالخسارة مثل تهشيم ثلاث نوافذ في القطار، والطبخ في إحدى المقصورات، وحرق المقاعد وغيرها. ثم استلمنا أربعة صناديق تحتوي على النعل وأباريق التواليت بعد دفعنا رسوم جمركية عالية. بعد ذلك قرأوا لائحة أسماء فنادق برلين للسيّد تاج فاختار من بينها فندق «هرمس» لأنّه كان قد قرأ اسم هرمس الهرامسة في كتاب «زندقة العتيقة» ومن هذا المنطلق كان أقرب إلى العبريين والعرب. وأنا أيضاً



من أجل أن أكون مطّلعاً على تفاصيل السادة أخذت مضطرّاً غرفة في ذلك الفندق.

ناول السيّد سكّان الشريعة صكّاً للسيّدين تاج وعندليب فوقّعا عليه حتى يستلف مبلغاً من المصرف وذلك من أجل دفع تكاليف طوال فترة الإقامة في برلين. سأل السيّد تاج صاحب الفندق عن طريق مترجم: «هل أرض هذا الفندق مغصوب أم لا؟». وبعد أن اطمئنّ أمر أن يجهّزوا له الحمّام، كما أنّه خاطب جمعية «البعثة الإسلامية» مذكّراً إياهم أنّه بما أنّنا مظهر الإسلام فعلينا أن نعمل بحيث نكون قُدوة للكفّار بمعنى أنّه لا نمدّ يداً قط إلى ماء الفندق وأن نستعمل ماء النهر الذي كان في جوار الفندق لإغراض الطبخ والوضوء والاستحمام؛ ومع أنّ الناس كانوا يرمون فضولاتهم وقمامتهم في النهر لكن بسبب جريانه فهو نظيف شرعاً.

ذهب السيّد تاج مع السيّد سُنّة الذي كان ماهراً جدّاً في التدليك إلى الحمّام. أخذ كُلٌّ من السادة غرفة لنفسه وجهّزها حسب ذوقه: يعني أزاحوا السرير والسجّادة ووضعوها على جنب في زاوية الغرفة ووضعوا بدل ذلك بساطاً وسجّادة بسيطة ووضعوا عليها سجّادة صلاة وإبريق.

لم تمرّ نصف ساعة حتى ضجّ صخب غريب في الفندق وجاءنا صاحب الفندق وهو يضرب رأسه بيديه قائلاً إنّه منذ



ذهاب السيّد تاج إلى الحمّام لقد تسرّب الماء من حمّام الطابق الثالث إلى الطابق الثاني والأول بحيث اشتكى جميع الزبائن. فذهبنا جميعاً هناك وفتحنا باب الحمّام. كان السيّد تاج يجلس على أرضية الحمّام بلحية ورأس وأظافر مخضّبة بالحناء وكان السيّد سُنّة يدلّكه؛ وكان الماء يصبُّ من الحنفية المكسورة إلى الطست ويتسرّب منه إلى الأرض. صاح السيّد تاج غاضباً في البداية أنّه لماذا وقع بصر أحد الكفّار على جسمه المشعر ثم خاطبهم قائلاً: «أنظروا إلى عيوب حمّامات الكفّار واعرفوا كم هي كثيرة! لا يوجد فيه حتى مشلح للملابس وبالتأكيد ماؤه ليس كُرّاً. قد أصبح جسمي كلّه نجساً جداً». وبعد أن خرجَ السيّد تاج بحالة بائسة من الحمّام جاء صاحب الفندق وسلّم فاتورة بمبلغ ثمانمئة مارك لقاء الأضرار في الحمّام. غضب السيّد تاج من هذه القضيّة بشكل كبير وانزعج جداً خاصةً أن السيد سكان الشريعة لم يعُد بعد خروجه، ولم يجلب النقود. وكما وصل إلى مسامعنا لقد رآه أحدهم وهو يرتدي الملابس الإفرنجية في إحدى صالات الحلاقة وقد حلق لحيته ثم شوهد مع تلك العجوز البولندية من القطار في عدد من مقاهي المدينة.

قال السيّد تاج: «إذا أقدم شخص من بيننا على الخيانة لا تتمّ ملاحقته والقبض عليه من قِبل الشرطة فحسب بل سيسودّ وجهه في تلك الدنيا وسيكون محشوراً مع شمر بن ذي



الجوشن وعمر بن الخطاب حتى تمسك به جميع الأمم المسلمة من جبال هندوكوش إلى أقصى بلاد جابلقا وجابلسا والحبشة حيث فيها أكثر من أربعمائة ألف «مليان» مسلم وهم يصرخون لا إله إلا الله، ويشنقونه».

أكل السادة أعضاء «البعثة الإسلامية» غداءهم مضطرّين من تلك الأكياس التي جلبوها معهم من البلاد المسلمة وهي تحوي الأجبان الفاسدة والخبز اليابس والبصل. وبمجرّد عودتي من المطعم اشتريت صحيفة كان قد كُتب في الأعلى منها بخط كبير:

«يشرّفنا وصول الضيوف الكرام! سيصلنا اليوم إلى برلين جمعٌ من الفنانين الأغنياء من بلاد الشرق»

عند دخولي إلى الفندق كان كل واحد من السادة المبلّغين يسأل الآخر ماذا سيحلّ به في بلاد الغُربة لأنهم لا يعرفون أحداً في المدينة يستطيع أن يساعدهم حتى وصول الوجوهات من الدول الإسلامية.

قال السيّد تاج: «لم أكن أتصوّر أن يُقدِم السيّد سكّان الشريعة مؤلّف كتاب «زبدة النجاسات» الذي يتمتّع، برغم صِغر سِنّه، بالعلوم المعقولة والمجهولة بشكلٍ كافٍ وقضى عشر سنوات من عمره الشريف في بلاد الكفر، ويتباحث معهم ويتجادل، أن يُقدِم على هذه الحركة البشعة. من



المحتمل، أو ربّما، أصابه الكفّار بالبلاء ففي هذه الحالة سنُصدر حكم الجهاد أو من المحتمل أنّه أخذ تلك الوليّة الكافرة ليدعوها إلى الدين الحنيف».

عندليب الإسلام: «رأسي يؤلمني، وأقول أن نأخذ سماور الصفيح ونذهب إلى المدينة ونجد مكاناً خُلّباً ونصنع قدحاً من الشاي ونشربه. وأثناء ذلك نكون قد تجوّلنا في المدينة».

قوبل اقتراح السيّد عندليب بأكثرية الأصوات ولكن رأى السيّد تاج أنّه من الأنسب أن يحرسوا أشياءهم في الفندق حتّى لا يمسّها الكفّار. بمجرّد خروج اثنين أو ثلاثة منّا من الفندق جاء جمعٌ غفير من الناس لمشاهدتنا وازداد جمعُهم في «فريدريشه ستراسه» و«أونتر دن ليندن» بحيث لم تسنح لنا فرصة صنع الشاي. كانت الفتيات يأتين بصدور وأذرُع عارية أمامنا ويبتسمن. وضع السيّد عندليب العباءة على عمامته وكان يغلق عينيه ويستغفر.

في هذه الأثناء جاء شخصان، وهما يعتمران قبّعة عليها علامة، مع مترجم إلى السيّد عندليب. استأذنوا، وقال المترجم: «نحن نفتخر ويشرّفنا أن يأتي جمعٌ من فنّاني الشرق المعروفين لرؤية عاصمتنا، لذلك نغتنم هذه الفرصة ونبارك حضوركم. وكما تعلمون إن شركة «أوفا» لإنتاج الأفلام وهي



من كبرى الاستوديوهات في العالم تنوي أن تصنع أفلام «أمير أرسلان» و«الحسين الكردي» و«سيرة عنتر». لذلك يغتنم رئيس الشركة وصول الضيوف الأعزاء ويرجو السادة أن يستجيبوا لدعوته ويمثّلوا في الأفلام المذكورة آنفاً. ومن أجل اللقاء للتوقيع على العقد ولقاء شركائه الأعزّاء سينتظر رئيس الشركة غداً في مكتبه الساعة العاشرة صباحاً».

السيّد سُنّة: «يا سيّدي المترجم، أخبر رئيسك بشكل خاص أنّني أملك مهارة كبيرة في التمثيل حيث كنت أمثل في التشابيه[1] دور الميت بحيث عندما كنت أرقد على ظلفة باب ويحيط الناس بي، أقسم بسبعة قرائين أنّهم كانوا يظنّونني ميتاً».

السيّد عندليب: «ماذا يقول! هل يطلب من الكفّار أن يتشرّفوا بالدين الإسلامي الحنيف؟».

المترجم: «كلّا، يا سيدي! لقد دعتكم شركة «أوفا»».

عندليب: «أعتقد أنّ هناك مجلس فاتحة، أو أن أحدهم قد توفّي».

المترجم: «بما أنّ كلام سعادتكم مُبهم ولا نفهمه جيداً،

---

(١) تمثيل واقعة كربلاء حيث قتل فيها الحسين بن علي وجماعته وحُرقت خيامهم وسُبيت نساؤهم.



فمن الأفضل أن تأتوا غداً إلى الفندق».

وبمجرّد ذهابهم وبعد خطوات عدّة من تقدّمنا أوقفنا ممثّل سيرك برلين المعروف «سيركوس بوش» ولكن بما أن مترجمه لم ينجح في أن يُفهم السادة مطالبه، أخذ هو أيضاً عنوان الفندق وذهب كي يأتي غداً ويتباحث.

أخذ عدد من المصوّرين المعروفين صوراً لنا في حالات مختلفة، ومن جهة أخرى أحاطنا عدد كبير من الرجال والنساء وقدّموا لنا بطاقات معايدة بلادنا لنوقّعها للذكرى. ولكن بسبب عدم معرفتنا لأكثر من لغة كنا نستغرب بعضنا من بعض. في هذه الأثناء أغتنم السيّد سُنّة الفرصة لمغازلة الفتيات واختار اثنتين من ثلاث زوجات المتعة الموعودات.

عندما عدنا متعبين ومرهقين إلى الفندق كان ينتظرنا حشد كبير من أفراد الشرطة، والصحفيون، وأناس عاديون. سألنا أولاً عن سكّان الشريعة فقال صاحب الفندق إنّه حسب معلومات الشرطة قد سافر بالطائرة ولكنّه وقع حادث أسوأ آخر. ما أن دخلنا غرفة السيّد تاج حتّى رأيناه منصعقاً ومغمى عليه قرب منقل الأفيون وكان ثلاثة من مأموري الشرطة يفتشون جميع صوره وملابسه الداخلية. هذه المرّة لم يكتفوا بالغرامة بل كان يلزم مجيء جميع أعضاء «البعثة الإسلامية» إلى العدلية. ومهما بذلنا من وساطات وقلنا إن السيّد تاج كان



مريضاً ولم يكن يعلم، ومتعوّد على الأفيون إلا أنّهم لم يهتمّوا بكلامنا.

كان السيّد تاج يقول: «لا تقولوا لم يعلم، بل قولوا إنّه جاء كي يدعو الناس إلى الدين الحنيف. بأيّ حقّ يكلّمني الرُّجَيل الكافر النجس بصوتٍ عالٍ؟ أفهموه أنّني رئيس «البعثة الأسلامية» وأن أتباعنا المسلمين، من جبال هندوكوش حتى جزر الوقواق، حيث يبلغ عددهم خمسمائة ألف مليان مسلم سيقطّعونكم إرباً إربا بمنقاش المنقل. وإذا أراد الرشوة أيضاً قُل له إنّه في شرع الإسلام المُبين الرشوة حرام باستثناء العُلماء. كما أنّه لم يجلب السيّد سكّان الشريعة منذ ذهابه النقود.

لمّا رأى السيّدان عندليب وسُنّة أن الوضع وخيمٌ جداً عادا باتجاه الباب، ولكن منعهما شخصان وهما يرتديان قبّعة ذات علامة خاصّة، وهكذا قال المترجم: «أيّها السادة المحترمون! أفتخر أن أنقل لكم تحيّات السيّد «سونو جارتن» مدير حديقة حيوانات برلين. بالتأكيد تعرفون أن شهرتكم قد وصلت إلى كل مكان».

سُنّة: «من جبال الهندوكوش إلى أقصى بلاد جابلقا وجابلسا وجزيرة الوقواق».

مترجم: «نعم، نعم، هذا صحيح. وبهذه المناسبة هيّأ



السيّد مدير حديقة الحيوانات معرضاً شرقياً على شرف وصولكم. وينتظر قدوم الضيوف الأعزاء، ويتوسّل السادة بشدّة إذا كانوا لا يريدون بشكل دائم فعلى الأقلّ أن يشرّفوه أياماً عدّة بمجيئهم إلى بستانه ويوافقوا على أن يكون مضيفهم. تعلمون أن أسباب راحة السادة مُهيّأة بشكل كامل وكل ما تطلبون ستتمّ الموافقة عليه بسرور».

السيد عندليب: «ألديكم بستان؟».

المترجم: «نعم، بستان معروف. لا بدّ أنّكم قد سمعتم بالبستان».

عندليب: بستان أخضر مليء بالوحوش والطيور والحيوانات المجترّة والزواحف والقوارض، قُل لي هل هناك سيّد ذو ملابس خضراء؟».

المترجم: «لديه خضيري أيضاً».

عندليب: «لقد حلمت بذلك في القطار، سآتي».

استجاب السيّدان عندليب وسُنّة لدعوة مدير حديقة الحيوانات وركبا السيّارة وذهبا، وبعد نصف ساعة أيضاً أخذوا السيّد تاج إلى مخفر الشرطة.

سكّان: «في هذه الحالة انتهت مهمّتي هنا وتفرّق أعضاء جمعية «البعثة الإسلامية».



سوف أستفسر غداً بالبرقية من مدير مجلّة «المنجلاب» هل أستمرّ في كتابة التقارير عن السادة أو أن أذهب إلى مهمّة أخرى. عندما مررت الليلة بالقرب من حديقة الحيوانات رأيت أنهم كتبوا بخط أحمر يُضاء فوق الباب: «**المعرض الشرقي**»

البرّ الليّن في ٢٢ ذيقعدة الحرام ١٣٤٦
الجرجيس بن يافت بن إسحق اليسوعي



الفصل الثالث

خمّارة الميسر

مرّت سنتان على قضيّة «البعثة الإسلامية»، وبعدما تفرّق الأعضاء في برلين انتقلتُ إلى باريس بصفتي المراسل الخاصّ لمجلة «المنجلاب»، ولم يصلني في هذه المدّة أي خبر عنهم ولم أسمع عنهم شيئاً أيضاً. ولكن وقع لي حادث جعلني أضيفه ملحقاً إلى ملاحظات سفري لأنّه يُعتبر مُتمّماً لحكاية جمعية «البعثة الإسلامية»، وهو كالآتي : عندما كنت عائداً ليلة أمس من السينما دخلتُ خمّارة في أحد أزقّة حارة «مونمارتر». كان هناك شخص يعزف على جيتار وشخص آخر يعزف آلة بانجو، ورجل وامرأة يرقصان وحدهما على أنغام «جاوا». على مقرُبة منّي كان ثلاثة رجال شوارع يلعبون الورق، وأحدهم كان ثمِلاً جداً ويضرب الطاولة بقبضته بشكل مستمرّ ويقول: «كأساً أخرى». وكان النادل يأخذ الكؤوس الفارغة ويضع مكانها كؤوساً ممتلئة. وكانت الصحون التي تأتي مع الكؤوس تراكمت فوق بعضها على



الطاولة مثل برج بابل. قال أحدهم: «بعد عشر دقائق سوف يبدأ البزنس (Business)، فسوف أرحل».

فسأله زميله: «بالمناسبة يا جيمي، هل أمورك تسير بخير الآن، أم لا؟».

جيمي: «أوّل أمس حصلتُ على ثلاثمئة وستّين فرنكاً، من لعب القمار، ولكنْ يا للعمل! لم تسنح لي الفرصة أن أنام ليلة ما بعد الساعة الثانية صباحاً. ليلة أمس كنت أقول في الحلم طوال نومي: «كلّ بانكو يعادل مئتين «لوئي»». إلعبوا يا سيّداتي وسادتي plus Rien re ua، أيقظتني زوجتي لأنها كانت تتصوّر أنّني أهذي».

قال الثالث: «مرّة أخرى عن عملك، بعد أسبوع من الركض هنا وهناك نصبت عليّ سوزي أوّل أمس. وجدتُ مورداً آخر. عثرت على مصري متموّل وبعد ساعتين من المعاملة معه حصلت على خمسة وعشرين فرنكاً ولم يكف ثمن مشروب حتّى. إذا لم أشرب في الليلة قنّينة «فيرمونت» أموت عطشاً».

جيمي: «أنا أيضاً إذا لم أرقص لا يأتيني النوم. حسناً يا جوب ألا تقول شيئاً؟ من الواضح أن أمورك جيّدة. الليلة ليست لديّ نقود لأعطيك، غداً حسابنا».

نهض اثنان منهم وقالا: «وداعاً يا بروفيسور سُنّة



الأقطاب»، وذهبا. ما أن سمعت هذا الاسم على لسان هذين الفُتوّتين اللذين يعتمران قبّعتين حتّى قفزتُ من مكاني. انتبهت جيّداً فرأيتُ أنّ هذا الرجل هو مُدلّك «البعثة الإسلامية» وبروفيسور العلوم الفِقهيّة نفسه حيث كان يجلس هنا ويتكلم مثل فتوّة باريس. وقد تراكمت أمامه الصحون. فركتُ عينيّ، وانتبه هو أيضاً إليّ فارتمى في أحضاني وعانقني وقبّلني وقال: «أنت أيضاً هنا؟!».

نظرتُ مُستغرباً إلى طاولته حيث فرشوا عليها سجّادة خضراء وفوقها شدّة ورق لعب وكأس «آمورت» بجانبها. ربّت سُنّة على ظهري بودٍّ وقال: «خُذ الأمور ببساطة، إذا رأيتني على ذلك الشكل في القطار، كان من أجل مصلحة الدنيا. ولكن تغيّرت الأحوال، وجرّتني الأيام إلى هنا».

كدتُ أفقد صوابي، ومن أجل التأكّد سألته: «وأخيراً هل أرسلت فأر الهامستر إلى ابنتك سكينة؟».

سُنّة: «هذه السنة أرسلتُ لسكينة ووالدتها ثوباً مطّاطياً حتى يسبحا في شط العرب».

- حسناً، كيف وضع مرض المثانة الذي كنتَ تعانيه في القطار؟

- قُل ألبومين أو مرض السكري، لقد أصبحنا غربيين



وحضاريين، وهذا هو مرض السكري الوراثي نفسه.

- كيف؟

- وراثي، لأن جدّي كان يملك محلّ بيع حلويات وكان يبيع السكاكر.

- أين أصدقاؤك؟

- ألم تعرف هذين اللذين كانا معي؟ أحدهما كان عندليب الإسلام حيث يسمّي نفسه هنا «جان» وذلك الذي يرتدي ملابس سوداء هو السيّد تاج المتكلّمين بلحمه ودمه، ويسمّونه هنا «جيمي» وأنا أيضاً اشتهرت هنا باسم «جوب».

- إذاً أين السيّد سكّان الشريعة؟

- هل تتكلّم عن السيّد سكان الشريعة مؤلّف الكتاب المعروف «زُبدة النجاسات» الذي نبغ في العلوم المعلومة والمجهولة؟ قبل شهر لو كان بإمكاننا أن نرى خلف آذاننا كان يمكننا أن نراه. لقد اختلس أموال «البعثة الإسلامية» وهرب إلى مكان غير معروف. كانت هذه إحدى خدعه! لندع الكلام بيننا، لقد غدر بنا. لأنّه عندما فعل هذه الأفاعيل كنّا قد اتفقنا على تقاسم الأموال بيننا نحن الأربعة ولكنّه هرب بحصّتنا ولم يهمّه أي منطق. أتعرف ما عمله؟ لقد أصبح بوّاب «فولي برجرر». أتذكر عندما قال السيّد تاج: «سنهدم كلّ المسارح



ونقيم المآتم مكانها»؟ كم ارتبك السيّد سكّان حيث قال: «دعوا «فولي برجر» لي». لم أكن أعرف ما هو «فولي برجر» ولكنّه أصبح بوّابه وأموره تسير على أفضل نحو. شاهد الحظ! ماذا يمكن أن نعمل.

- حسناً، هل جعلتم أحدهم مُسلماً في النهاية؟

ضحك سُنّة وقال: «بلى، شخص واحد فقط؛ ومنذ ذلك الوقت وسمتُ يدي أن لا أفعل مثل هذه المساوئ».

- كيف؟

- عندما انطلقنا لم يفكّر أحد بعمله بقدري لأنّهم كانوا قد جاؤوا بي لأقوم بخِتان الكفّار وتعلّمتُ كلمة العصفور بثلاث لغات حيث يعني بالروسية «وارابي» وبالألمانية «إشبرلينك» وبالفرنسية «موانو». أتعرف لماذا؟ لأنّه عند الختان يجب أن أقول «طار العصفور» حتى ما أن يبحث الطفل عن العصفور أقطع جلدة القُلفة. أنظر كم كنت قد قرأت. حسناً، لم أعتقد أنّه ينبغي معرفة كلمة «طار» وكنت أشير بيدي أو أقول «طا...». ولكن صدّقني لم تنفعني أية واحدة من هذه اللغات الثلاث.

- كيف؟

- في أحد الأيام عندما أراد السيّد تاج أن يُحيي



الموقوفات ألَحّ أن نجعل أحد الكفّار مسلماً كيف ما كان ونأخذ صورة جماعية معه ونرسلها إلى البلدان المسلمة. وجدنا في العام الماضي شحّاذاً تحت أحد جسور نهر «سن» ووعدناه بإعطائه ألفي فرنك لقاء السماح لنا أن نختنه. في البداية كان خائفاً، ولكنّه رضي أخيراً. لا أخفي عنك، مهما تبجّحتُ بمعلوماتي وقلت «العصفور» بثلاث لغات لم يفهم أبداً، لأنه كان إيطالياً. ثم ذهب واشتكى بأنّنا جعلناه ناقصاً ولم يعُد ينجب. فأدانونا وسلّمنا كل الأموال المتبقية من أجل ختانه.

- ماذا يفعل زملاؤك؟

- جان، كلّا، هل تذكر عندليب الإسلام الذي كان بمجرّد مشاهدة امرأة يغمض عينيه ويستغفر حيث كنّا نقوده ممسكين بإبطيه ويسير كالأعمى! حسناً، هنا يقوم بالوساطة. وهو يعمل وسيطاً للمحبّة وفي بعض الأحيان يساعدنا، وأموره جيّدة. وقد ضحك قبل يومين قائلاً: «كانت قِسمتي هي الوساطة لأنّه عندما كنت في سامرّاء كنت أقوم بعقد زواج المتعة للآخرين لمدة ٢٤ ساعة وهنا أصبحت أعقد لمدة نصف ساعة للناس. والثلاث والعشرون والنصف ساعة المتبقية شطبناها لأنّ الناس هنا يهتمّون بالوقت أكثر من الدول الإسلامية».



- أتمزح معي؟

- رحم الله والديك! هل نسيت أنّني كنت قد قُلتُ إذا سقطت قطرة من الخمر في البحر ثم يملأون البحر بالتراب بحيث يتشكل تلّ ويرتع قطيع من الخرفان هناك لن آكل من لحم هذه الخرفان! ولكن الآن (أشار إلى كأس شرابه).

- وهل هذا كان السيّد عندليب الإسلام الذي قال «إذا لم أرقص لن يواتيني النوم؟».

- كلاّ، هذا كان السيّد تاج. أتتذكّر كيف كان يهذر باللغة العربية؟ كان كُلّ ما يقوله الخمر والميسر. استولى على مبلغ لا بأس به من الجالية المسلمة في العام الماضي. خسرها حتى آخر ملّيم في القِمار. الآن أقنع نفسه أن يتفرّج على لعب الآخرين. حيث يعمل موزّع أوراق إحدى طاولات نادي «فانتازيو» الليلي. سينتقل هذا الصيف إلى كازينو «دو ويل»، عملهُ هو أن يقرأ الأرقام ويجمع النقود بعصا طويلة. وقد تزوّج امرأة إفرنجية وينزعج إذا لم تضع له في الطعام لحم الخنزير.

- وأنت كيف جئت إلى باريس؟ من أين جئت بالنقود؟

- آه! إذاً كيف تعلم يا سعادة المراسل المحترم لمجلّة «المنجلاب»؟ ألا تعلم أنّنا قبلنا دعوة مدير حديقة الحيوانات «سوتوغارتن»! لأنّنا كنّا فقدنا الأمل من الجميع ولم يكن هناك



أحد يساعدنا. كانت أمورنا بخير لمدّة شهرين أو ثلاثة حيث أعطونا بناية. كلا، كان قصراً، وخمسة وعشرين ماركاً كمصروف يومي لكل واحد منا فضلاً عن الطعام والملابس. وكان في البستان جميع أنواع الحيوانات التي يمكنك أن تتخيّلها من الحيوانات المجترّة والمفترسة والطيور والزواحف؛ وكان السيّد تاج يقرأ دعاءً في الليل وينفخ على الجدران والأبواب عسى أن لا تأتي هذه الحيوانات وتلتهمنا، وفي اليوم الأول ما أن رأى نمراً أُغمي عليه.

- ألم يكن السيّد تاج محبوساً بتهمة تعاطي الأفيون؟

- اشترى مدير حديقة الحيوانات مدّة سجنه وتعهّد أن لا يستخدم الأفيون مرّة أخرى. فجاءوا به عندنا. كنّا تمنّينا أن تكونوا معنا، لكوننا قد استمتعنا كثيراً. كانت الفتيات الجميلات كقرص الشمس ويأتين لمشاهدتنا، وقد حظيتُ باثنتين منهنّ. وأصبح عملنا أن نكون أزواجاً، نتزوّج متعة ونتطلّق ونقيم المآتم، وكان الناس يضحكون ويصفّقون لنا وينشرون صورنا في الصحف. ولا يخفى عليك عندما نشروا صورنا تصوّر الجماعة في الدول المسلمة أننا منشغلون جداً بالتبليغ، وتوسّع عملنا ومن أجل تشجيعنا أرسل المسلمون إلينا من شتّى الأصقاع بأموال وهِبات لا تُعدّ ولا تُحصى. ثم خطرت بذهني فكرة جيّدة، وقُلنا لمدير حديقة الحيوانات أن



يستلم الصناديق الأربعة التي كانت تحوي الأباريق والنعل حيث كنا وضعناها كضمان في الفندق، ففعل وبعناها للناس كل واحدة بسعر ١٢ فرنكاً. على كل حال لا أُصدّع رأسك، عندما تكدّست الأموال غلبنا الطمع لأنّنا كنّا مُعمّمين وأبناء مُعمّمين. قلنا مع أنفسنا أن نذهب إلى باريس ونستعرض هناك ونجني أموالاً، ولكن في سريرتنا كنّا نضحك على هؤلاء الفرنجة الحمقى. العمل الذي كان مورد رزقنا كان يضحكهم كثيراً. قُلتُ لتاج أن نخبر جميع «السادة» الجوعى والمعمّمين المملوئين بالقمل والعرب آكلي الجرذان ليأتوا هنا حتى تتحسّن أوضاعهم. ولكنه لم يرَ ذلك لصالحنا وقال: «إن هذا سيفسد بضاعتنا». على كل حال جئنا إلى باريس، طرقنا الأبواب هنا وهناك وأرينا دعاياتنا إلى هذا وذاك ولكنّ الحظ خذلنا. وصرفنا هنا كل ما كسبناه هناك. وبعد ذلك لم نكسب أي ملّيم. ثم أردنا أن نجعل أحدهم مسلماً فغرّمونا كثيراً. والآن هذا هو وضعنا كما ترى.

– ما دمتَ لم تكن مؤمناً بالإسلام إذاً لماذا كنت تدّعيه بشدّة؟

– يا عم! أنت ذكي أيضاً، ألم تكن تعرف أننا جميعاً كنّا نقوم بالحروب اللفظية واتفقنا أربعتنا على أن نختلس أموال الوقف وفعلنا ذلك.



- ولكن ماذا عن الدين؟ ماذا عن الإسلام؟

- أي دين! أي طين! وهل الإسلام شيء آخر غير النهب والقتل ؟ فكل قوانينه وُضعت من أجل الشبر الأمامي للمرء والشبر الخلفي له. أنسيت كيف شرح «قوت لا يموت» أهداف الإسلام أنّه إمّا أن تسلموا وتعملوا حسب كتاب «زُبدة النجاسات» أو نقتلكم أو تدفعون الجزية؟ هذا هو كلّ منطق الإسلام، يعني: السيف البتّار وكاسة التسوّل. أتذكر ماذا قال تاج حول الأخلاق والفلسفة والنعيم والجحيم؟ حيث يعطون للرجل المسلم هناك حورية تكون قدماها في المشرق ورأسها في المغرب، فضلاً عن سبعين ألف ناقة وقصر فيه سبعون ألف غرفة. أنا مستعد أن يعطوني أعمالاً شاقّة ولا يعطوني هذه الحورية التي لا يمكنني أن أصل من رأسها إلى قدميها وبالعكس. وأيضاً ذلك القصر إذا كنست غرفة واحدة منه سأكون مجرّد كنّاس في تلك الدنيا، وإذا توجّب عليّ أن أهتم بسبعين ألف ناقة سأكون في تلك الدنيا مجرّد راعي إبل، في حين أن جميع النساء والفتيات الأوربيات الحسناوات في الجحيم، وإذا كانت ماهيّة الناس تتغيّر، إذاً ليس لهم أيّ شأن بهذه الدنيا ولن يكونوا مسؤولين عن تصرّفاتهم وأعمالهم السابقة.

- ألم يكتب كل هؤلاء الفلاسفة الأوروبيون وعلماؤهم المؤلّفات في مدح الإسلام؟ فماذا تقول عنهم؟



- وهذا أيضاً من أجل السياسة الاستعمارية. فهذه الكتب هي مجرّد أوامر يتمّ تأليفها من أجل امتلاكنا نحن الشرقيين كي يركبونا بشكل أفضل. أيّ سمّ وأيّ أفيون يجعل الناس عديمي الإحساس وفاقدي الذوق وسيئي السلوك أفضل من فلسفة قضاء وقدر اليهود والمسلمين وقسمتهم؟ ألق نظرة واحدة على الخارطة الجغرافية: جميع الأمم المسلمة مغلوبة على أمرها، بائسة، جاسوسة، عميلة ومرتزقة. تهبُ الأممُ الاستعمارية النقودَ للمؤلّفين الطمّاعين وعبّاد الذهب ليكتبوا هذه الأراجيف لكسب ودّ الأمم المسلمة أو ليبثّوا التفرقة بين الهندوس والمسلمين.

- وهل تنكر الحضارة الإسلامية أيضاً؟

- أي حضارة؟ أتريد الحضارة العربية؟ إذهب واقرأ كتاب الشيخ تمساح المُعنوَن «آثار الإسلام في سواحل الأنهار» حيث تكلّم فيه من أوّله إلى آخره عن لبن النوق وبعر الإبل والعباءة والسحالي المشوية. والتتمة الباقية اخترعتها الأمم المقهورة بفعل حقارتها ونسبتها للعرب. إذاً لماذا عندما طردت البلدانُ المتحضّرةُ العربَ، عادوا مرّة أخرى إلى أصلهم يتبعون السحالي بعقالهم وكوفيّتهم المعوجّين؟

- إذاً لماذا كل هذا التظاهر بالدين وخداع الناس؟

- أليس من المفروض أن نكسب رزقنا؟ هذا كسبنا



وِدكاننا أن نستخفّ بعقول الناس. كان المرحوم والدي من هؤلاء المُعمّمين المُلحدين! وكان يقول دائماً باللغة التركية الآذرية[1]: «اي موسولمان قارداشي. سنين أياقين هارا چادي كه خ چخار تمادي؟»[2] في أحد الأيام باع قنّينة ماء ورد لإحدى زائرات العتبات بسعر روبيّتين، قائلاً لها: «أبقي على غطائها مغلقاً، حتى لا يخرج منها قرينُكِ[3]». فقلتُ له: «لماذا أنت أيضاً، يا أبي؟». أجابني: «هؤلاء الناس فيهم جان، وإذا لم أُمسك بجانهم سيأتي شخص آخر ويمسك به». لذلك ما دام الناس مغفّلين فمن السهولة السيطرة عليهم. يكفي أن نشكر الله أنّنا جميعنا أذكياء وتمكنّا من تدبير أمورنا. والحصول على ما نبغي إليه، وإلا لو كنّا قُمنا بتبليغ الإسلام لكان كل واحد منا سيكون مصيره في مشفى الأمراض العقلية ويضعون ملصقاً بلون الخردل على قفا رأسه.

- وبالمناسبة ما هو عملك الآن؟

- لمّا رأيتُ أن النقود تنفد، أصبحتُ شريكاً مع الوليّة صاحبة هذه الخمّارة، وغيّرتُ اسم هذا المكان أيضاً (وأشار إلى الباب حيث كتب عليه «ميسر الحانة»، خمّارة الميسر).

---

(١) الآذرية هي إحدى فروع اللغة التركية ويتكلم بها سكان أذربيجان.

(٢) يا أخوتي المسلمين، هل وطئت أقدامكم مكاناً دون أن تنجسوه؟

(٣) حسب الاعتقاد الشعبي الإيراني فإن لكل شخص قريناً من الجان يولد معه.



- وماذا يعني الميسر؟

- تعلّمتُ هذه الكلمة من الآيات التي اخترعها تاج حيث كان يقول دائماً «الخمر والميسر»، أصبح هو لاعب قمار وأنا أيضاً أصبحت بائع الخمر.

- هل يعني الميسر «خمر»؟

- تاج نفسه لم يكن يعرف معناه، جاء إليّ وسألني. على كلّ حال فكلّ كلمة في القرآن لها ثلاثمائة ألف معنى، دَع هذه تكون واحدة منها.

ثم التفت إلى العازفين قائلاً: «أعزفوا موسيقى تانغو جيّدة على شرف صديقنا». وأمر أن يجلبوا لي كأس خمر «بوجوليه» وشربنا معاً نخب «البعثة الإسلامية».

وهكذا انتهى الجهاد الإسلامي!
الباريس[1] في ١٢ أكتوبر ١٩٣٠
الجرجيس يافت بن إسحق اليسوعي

---

(١) إضافة (ال) التعريف مستمدة من لغة المعمّمين، وقد أثبتها المؤلف استهزاءً.




مكتبة
الفكر الجديد

القسم الثاني

«أسطورة الخلق»

مسرحية




مكتبة
الفكر الجديد

الشخصيات

خالقوف

جبرائيل باشا

ميكائيل أفندي

مُلّا عزرائيل

إسرافيل بيك

مسيو شيطان

بابا آدم

ماما حوا

الحوريات، الغلمان، الفيلة، النعامات.




مكتبة
الفكر الجديد

المشهد الأول

يبدو ثمّة مجلس مجلّل وضعوا في منتصفه عرشاً مُطعّماً بالمجوهرات وقد جلس عليه متّكئاً على وسادة مطرّزة بالمجوهرات خالقوف وهو رجل عجوز مدعوك بلحيته الطويلة وشعره الأبيض، يرتدي ثوباً عريضاً مُطعّماً هو أيضاً بالمجوهرات، ويضع على عينيه نظّارة بعدسات سميكة. وكان هناك عبد أسود يُمسك بمظلّة، وثمّة فتاة بيضاء تمسك بيدها مهفّة وتهفّي لخالقوف.

عند طرفَي العرش يقف مباشرو خالقوف المقرّبون الأربعة حيث يقف إلى يمينه جبرائيل باشا وميكائيل أفندي وإلى يساره ملا عزرائيل وإسرافيل بيك على هيئة الجنود الرومان بدروعهم وثيابهم الحربية والخوذة وجزمة تصل حتى الركبة ويتمنطقون بسيوف طويلة وأجنحتهم مخفوضة للوراء. فقط ملا عزرائيل كان وجهه مثل كاسة رأس شخص ميت، ويضع على كتفه معطفاً طويلاً أسود اللون وبدلاً عن السيف كان يمسك بمنجل كبير.



كان الجميع يقفون بانضباط عسكري، وخلفهم كان جمع من الحوريات المتكحّلات يرتدين المقنّعات الموحّدة وينظرن إلى المجلس، كما كان الغلمان ينظرون إليهنّ بنظرات الإعجاب. وفي زاوية من الغرفة كان مسيو شيطان ينظر فيما حوله بحاجبيه المرتفعين وقامته الطويلة وقبّعته المخروطية ومعطفه الأحمر ويتمنطق بسيف قصير، وثمة عثنون على ذقنه.

وفي منتصف المحفل ينفخ جمعٌ من الحوريات بملابسهنّ الرقيقة في البوق ويضربون على الطبل والدف ويغنّون:

لا ترغب النفس بالسهل والصحراء، لا ترغب

ولا تشتاق إلى النزهة والفرجة، لا تشتاق

هزّت إحدى الحوريات خصرها في ذلك الوسط وهي ترتدي ذلك الثوب. عندما انتهى العزف وصلت بشكل موارب إلى عند خالقوف ومدّت جرسها أمامه وهي تغمز له. فمدّ خالقوف يده إلى جيبه وأخرج حفنة من النقود ورماها في جرسها. ولما أرادت العازفات والراقصات العزف مرة أخرى رفع خالقوف يده فجأة وأمرهنّ بالسكوت، ثم رفع قامته.

خالقوف (يُخرج قُصاصة ورق من جيبه، ويقرأ): «حقّاً



إنّه هكذا، وليس غير هذا إذ إنني أريد أن أُطلعكم على موضوع. (يبلع ريقه)، تعلمون أنّني رغم كهولة سِنّي وعجزي بدأت بالعمل منذ أيام: في اليوم الأول صنعتُ الضياء، ثم الأراضي، والسماوات، والمياه، والصخور، والطين ... (يمكث قليلاً) والآن أريد أن أُبقي ذكرى خالدة مني وأن أستعرضَ قُدرتي. لذلك فقد قرّرت بمشيئتي وإرادتي أن أخلق جمعاً من الحيوانات على هذه الأرض التي تقع في المنظومة الشمسية وهي من أسرة الشمس، وأن أضع ملكاً لهم على هيئتي من الطين باسم «آدم» حتى يحكم على جميع الموجودات. (مديح وتشجيع الحاضرين). ليس فقط يكون ملكاً على الأرض، بل أُريد أن يقوم جميع الملائكة، والجان، والحوريات، والغلمان، بالانحناء تعظيماً له خافضين رؤوسهم و» . . .

مسيو شيطان (يقطع كلام خالقوف ويأتي إلى وسط المجلس): «إذاً ما هو عملي؟ إذاً من أنا؟». (يعلو همس الحاضرين)

خالقوف (أصبح وجهه بلون التوت الشامي): «هل تتجادل معي؟ لا تتدخل فيما لا يعنيك، إخرس!».

مسيو شيطان (مبتسماً): «أهه! أنا لن أنحني لآدم قط. فأنا من النار وهو من الطين».



خالقوف (مخاطباً جبرائيل باشا): «أَخرِج هذا الرُّجَيل!».

مسيو شيطان (يعوج فمه): «ما دام الأمر هكذا سأقوم بخداع بابا آدم، سوف ترى!». (صخب الحاضرين)

(يمسك جبرائيل باشا بقبّة مسيو شيطان ويطرده من الغرفة بصفعة على قفا رقبته ويرتفع صوت بكاء مسيو شيطان من الخارج).

خالقوف (وهو مضطرب يخاطب مباشريه المقرّبين الأربعة): «أبقوا أنتم! وليخرج الجميع، وليذهبوا إلى شؤونهم!».

(تخرج جميع الحوريات والملائكة ممتعضين وخافضي الرأس من المجلس. ويحلّ الصمت قليلاً).

خالقوف (يرفع رأسه): «يا جبرائيل باشا، ماذا تقول أنت؟ يعني اليوم بعد كل ذلك الجهد الذي بذلته من أجل الخلق، أردت أن آخذ قسطاً من الراحة. بالمناسبة لقد تساهلتُ كثيراً مع هذا الرجيل مسيو شيطان».

جبرائيل باشا: «نعم، يا مولاي، لقد تمادى».

خالقوف (يقضم شاربه): «ما دام الأمر انتهى هكذا سوف أشمّر عن ساعدي غداً عناداً لمسيو شيطان. ولكن لا يجب أن



أرى وجه الشيطان مرّة أخرى. سأعطي أمراً بطرده من الجنّة».

جبرائيل باشا: «أمركم مُجاب ومُطاع».

خالقوف: «كنت أريد قبل أن أبدأ بالعمل أن أستشيركم وأستفسر آراءكم».

(ينحني أربعتهم تعظيماً)

خالقوف (مُخاطباً جبرائيل باشا): «حسناً، قُل لي كيف هي خطّتي؟».

جبرائيل باشا: «بالتأكيد جيّدة جدّاً، ولكنْ هذه الحيوانات التي تصنعها من الطين كيف ستعيش؟».

خالقوف: «لقد فكّرت في الأمر، سأجعلها تتصارع فيما بينها حتى يقتات بعضها على البعض الآخر».

جبرائيل باشا: «في هذه الحالة لن يكون جيلها مستقرّاً وسوف تفنى سريعاً. ولن يستمرّ حُكم آدم أيضاً. لأنّه لن يبقى أحدٌ من رعاياه كي يحكمَ عليهم، وأيضاً بما أن آدم من الطين ويجب أن يأكل ويشرب فإنه لن يستمرّ طويلاً».

خالقوف: «قلت صدقاً، إذاً ماذا عليّ أن أفعل».



جبرائيل باشا: «اخلق هذه الحيوانات على نظام التناسل جيلاً بعد جيل فيتكاثر كل نسل مئة مرة ويتضاعفوا كحبّات القمح».

خالقوف: «كم كلامك جيّد!».

خالقوف: «ولكن هناك مشكلة فنّية أخرى في هذا الأمر، ربّما من الممكن أن يزداد عددهم على نحوٍ كثير ويملأوا الأرض أو يقتات الأقوياء على الضعفاء بحيث يبقى جمعٌ من بينهم بلا طعام وتحلّ الفوضى».

خالقوف: «خطرت فكرة جيّدة على بالي، أمس عندما كنت في الجنّة كان البستاني يجزّ الأعشاب الضارّة هناك، فسألته: «لماذا تفعل هكذا؟»، أجابني: «حتى يبقى قوت الأرض وطعامه للأزهار». سنفعل نحن هذا الأمر أيضاً».

جبرائيل باشا: «إذاً يجب أن نحدّد حياة هذه الحيوانات، ونجعل أحدهم يذهب ليقبض أرواح جمعٍ من هذه الأجيال عند زيادتها حتى لا يختلّ التوازن».

خالقوف (مخاطباً عزرائيل): «ملا عزرائيل!».

ملا عزرائيل: «نعم، يا مولاي!».

خالقوف: «هل يمكنك أن تقوم بهذا العمل؟».



ملا عزرائيل: «أتوسّل إليك، أنا كهل، أنا شخص خاطئ. هذا العمل فوق طاقتي».

خالقوف (بغضب): «يا لهذه القصّة! اليوم يعارضني جميع خدمي: ذلك المسيو شيطان، وهذا الملا عزرائيل! أنظروا على مَن كنت أعتمد، حتى يكافئوني هكذا».

ملا عزرائيل (وهو يرتجف بشدّة): «لقد أخطأت، على عيني. بحقّ جبرائيل باشا لا تطردوني من الجنّة! ولكن كيف أذهب من دون مقدّمة وأقبض الأرواح؟».

خالقوف: «لا تشغل بالك! أنا سوف أعطيك الذريعة».
(ينحني مُلا عزرائيل، ويبتسم خالقوف)

خالقوف (مُخاطباً ميكائيل أفندي): «ميكائيل أفندي!».

ميكائيل أفندي: «نعم، يا نور عينيّ ميكائيل أفندي؟».

خالقوف: «تعرف أن عملنا سيزداد، لذلك يجب أن تجهّز دفتراً وسجلاً ويلزم أيضاً عدد من المُحاسبين والسكرتيرات، وفضلاً عن ذلك اهتمّ بالفواتير جيّداً! بالمناسبة لقد تشقّق حوض الكوثر، هل أصلحته؟ كم تبلغ تكاليفه؟».

ميكائيل أفندي: «نعم، يا مولاي، أعطيتُ أوامري أن يغطّوا تشقّقات حوض الكوثر بالطين والكلس، ولم تصل الفاتورة بعد».



خالقوف: «أعطِ أمراً بإزالة الغبار من ورشتي وأن تُجهز جميع الأدوات. تعلم أنه عناداً للشيطان سوف أبدأ بالعمل غداً. سأُعطي أمراً أن يجهّزوا خمسين مليون كيس من التراب الأحمر، وخمسين مليون دلو ماء، وخمسين مليون كاسة بناء، وخمسين مليون سُلّم، وخمسين مليون حادلة، وخمسين مليون فأس، وخمسين مليون منشار، خمسين مليون مِعوَل، خمسين مليون رفش، وخمسين مليون مالج، وخمسين مليون غربال!».

ميكائيل أفندي: «نعم، يا مولاي، بالمناسبة سقف قصر الزمرّد يسرّب ماءً».

خالقوف: «أتريد مرّةً أخرى أن تخترع لنا مصاريف؟».

ميكائيل أفندي: «أخطأتُ».

خالقوف: «سأعطي أمراً أن يكنسوا الجنّة سريعاً ويرشّوا الماء على التراب، لأنّني ندمت الآن. سوف أصنع ملاكاً على هيئتي، وأعطي أمراً أن يقضي وقتاً جيّداً في الجنّة. من المؤسف أن نرسله إلى الأرض ليعيش مع الحيوانات. ولكن عليكم جميعاً أن تسلّموا عليه!».

ينحني أربعتهم تعظيماً: «على أعيننا، على رؤوسنا!».

خالقوف: «يا إسرافيل بيك، ألا تقول شيئاً؟».



إسرافيل: «نعم، يا مولاي؟».

خالقوف: «سأجعلك مسؤولاً على السيّد آدم، وسوف تراقبه كي لا يخدعه الشيطان! كلّما تعرّض آدم لخطر أخبرني أنت بوقته!».

إسرافيل بيك: «مولاي، أنا العبد المطيع دائماً حاضر في الخدمة».

خالقوف: «أحسنت، تتكلّم جيّداً!».

إسرافيل بيك: «أنا تربّيت عندكم، أنا عبد بيتكم».

خالقوف: «حسناً، هل يمكنك أن تدير هذا العمل؟».

إسرافيل بيك: «أعرض على خدمتكم أنّكم تعرفون هذا الأمر جيّداً. ألم أُخبرك أول أمس حول مغازلة أحد الغلمان إحدى الحوريات فأرسلتهما حضرتك إلى مطبخ الجحيم؟».

خالقوف: «أنا راضٍ عنكم، ولكن أيّ واحد منكم لن يصبح مثل جبرائيل. وأقول هذا أمامه، أنا أحبه كثيراً. آه، آه، آه، لقد قضينا شبابنا معاً. من المؤسف أنّها قد ولّت، يا لتلك الأيام، يا للشباب، يا للشباب!». (يتعزّز جبرائيل باشا ويفتح جناحيه. يرفع ميكائيل أفندي قدمه تحت الجناح ويغفو).



خالقوف: «يا جبرائيل باشا!».

جبرائيل باشا: «نعم، يا مولاي!».

خالقوف: «أنا أعتمد عليك كثيراً، اهتمّ بجميع أعمالي، فأبقَ! (ويشير إلى إسرافيل بيك وميكائيل أفندي ومُلا عزرائيل) اذهبوا أنتم! ليبقَ جبرائيل باشا!».

(يبقى جبرائيل باشا وينصرف الآخرون بعضهم متلكّئين وبعضهم بنشاط).

خالقوف: بقينا الآن وحدنا، إذهب واجلب صحن مهلبيّة! اللعنة على الشيخوخة...!

(يدخل جبرائيل باشا مع قِدر صغير ويصبّ مهلبية في صحن ويعطيه بيد خالقوف).

خالقوف (مبتسماً): «عندما كنتَ خارجاً استخرتُ وكانت جيّدة».

جبرائيل باشا: «لماذا لا تكون جيّدة؟! هذه إرادة خالقوف».

(يتجرّع خالقوف المهلبية بنهم).

جبرائيل باشا: «أمهلني لأعطيك صدريّتك!».



(يضحك خالقوف، فتتطاير جرعات المهلبية على لحيته).

(فيقهقه جبرائيل باشا عالياً من شدّة الضحك).

خالقوف: «يا للمكائد التي ندبّرها للأرض!»...

وبعدها نجلس معاً ونتفرّج ونأكل المهلبية ونضحك.

(تسدل الستارة، ويأتي صوت الضحك عالياً من وراء الستارة، ثم يسود الصمت).




مكتبة
الفكر الجديد

المشهد الثاني

نشاهد ورشة عمل كبيرة وعلى طاولة رفيعة بطول الغرفة وُضِعَت أدوات الفيزياء والكيمياء، مِجهر، ميزان، جهاز كهربائي، فرجال، مثلّث الحساب، قطع من الخشب وألواح، ومرطبانات كبيرة تحوي مياهاً ملوّنة. وثمّة موقد شحمي مشتعل، وفي مدخل الورشة وضعوا الطين الأحمر والماء. وتناثر المالج والغربال والرفش وغيرها من الأدوات على الأرض بشكل غير منتظم وثمّة كرسي واحد مريح أمام مرآة كبيرة.

كان خالقوف يتمشى على مهل وقد رفع كمّيه ووضع ذيل ثوبه الأزرق الطويل في شال خصره وكان جبرائيل باشا يمسك بمعول ويمزج التراب بالماء.

خالقوف (مُخاطباً جبرائيل باشا): «دحرج تلّ الطين ذلك إلى هنا».

جبرائيل باشا: «على عيني». (ويدحرج كومة الطين وهي



على شكل لاسطوانة إلى وسط الغرفة لاهثاً. وبعد ذلك يمسح عرق جبينه بكُمّه).

خالقوف: «هل أتعبتك كثيراً؟».

جبرائيل باشا: «ليس شيئاً يُذكر!».

خالقوف: «أنا تعبت أيضاً، تعلم أن اليوم هو اليوم السادس منذ بدأنا العمل. في اليوم الرابع صنعت النباتات وفي خامس الأيام الحيوانات، واليوم مع كل البقايا والزوائد سوف أصنع «الفيل»، حيوان ضخم رأسه هنا وقدماه هناك (ويشير)، ووضعت جانباً كمّية من ذلك الطين الجيّد لأجل صُنع آدم. قُلت مع نفسي أصنع فيلاً من بقايا الطين والتراب الزائد، ثم أُنهي صنع آدم الذي تركته ناقصاً. عند ذلك وفي اليوم السابع أجلس وأتفرّج».

جبرائيل باشا: «يبدو وكأنّ صُنع هذين أسهل بكثير. ليخرس لساني أريد أن أقول شيئاً».

خالقوف: «قُل!».

جبرائيل باشا: «أتتذكّر عند صُنع الجراثيم والحشرات التي بدأتها في اليوم الأول كانت أصعب بكثير من صنع آدم. كم عملت مع عدسة مكبّرة وسفّود ومثقاب، ولكنّ هذين أسهل بكثير».



خالقوف: «آه، هذا ذنبي إذ إنني علّمتك كل أسرار الصناعة وتأتي الآن تنتقد عمل خالقوف بتشاؤم؟ من الواضح أنّ ثمّة خللاً في عقلك. إذا كنتُ قد صنعتها كان ذلك لكي أُمرّن يدي. أتتصوّر أن صُنع آدم أمر سهل؟ ألم ترني قبل ساعة أمام المرآة صنعت القرود على هيئتي حتى يسهل عليّ صنع آدم؟».

جبرائيل باشا: «الآن ماذا تأمر أن أفعل؟».

خالقوف: «إذهب واجلب أربع أرومات من الأشجار تلك من زاوية الغرفة!».

جبرائيل باشا: «من أجل قوائم الفيل؟».

خالقوف: «أحسنت، لقد بدأت تصبح ذكياً».

(يذهب جبرائيل باشا ليأتي بأرومات الشجرة، ويدحرجها في الطين).

خالقوف: «الآن، اجلبها واغرزها في أربع زوايا الطين!». (ويشير إلى كتلة الطين).

خالقوف: «اجلب رأسه أيضاً وألصقه في رقبته! وأعطني كتلة الطين تلك (ويشير)!». (ويطيع جبرائيل باشا).

خالقوف (يضحك): «خطرت فكرة جيّدة ببالي يا



جبرائيل باشا، أجلب أنبوبة الموقد تلك وأغرزها في رأسه! الآن إذ أصبح الجوّ دافئاً لم نعد بحاجة إلى الموقد. أخرج رغيفَي خبز من مائدة الطعام وألصقهما على طرفي رأسه! بالتأكيد تعرف أن أعضاء الحيوانات يجب أن تكون متناسقة في الطرفين، وكل عضو منحنٍ يجب وضعه في الوسط».

جبرائيل باشا: «سمعاً وطاعة». (يذهب خالقوف باتجاه الطاولة ويرفع ناياً ذي سبع عُقد ويضع رأسه تحت ذيل الفيل وينفخ فيه. يضع جبرائيل يده على خصره ويتفرّج. وفجأة تهتزّ كتلة الطين بكاملها. يسحب خالقوف الناي ويتراجع إلى الخلف رويداً رويداً. يهزّ الفيل خرطومه، ويتقافز ويشخر بشدة.

يمسك خالقوف بحفنة برسيم بيده ويقف أمام الفيل الذي يشخر مرة أخرى ويأخذ البرسيم بخرطومه ويرميه في الهواء. يتراجع خالقوف وهو شاحب اللون إلى الخلف رويداً رويداً.

خالقوف: «قولوا لمربّي الفيل أن يأتي ويضع الفيل في الهودج، وأنزلوه إلى الأرض!». (يأتي حارس الفيل مع رفش ويركبه ويخرجان من الورشة. يتنهّد خالقوف ويتهالك على الكرسي المريح Rocking Chair. ثم يُخرج كيس تِنباكه ويملأ غليونه ويشعل عود الثقاب بحذائه).

خالقوف: «عزيزي جبرائيل!».



جبرائيل باشا: «نعم يا مولاي!».

خالقوف: «لا تعرف كم تعبت! ولكنّني أخشى أن أسأم ولا أعود أهتمّ بإكمال العمل. يا للخيالات التي خطرت على بالي من شيخوختي! حسناً، سأذهب لأنهي صنع «آدم» أسرع، ثم يرتاح بالي وأرتمي على فراشي. سأقول لأحدى الحوريات أن تُدلّك قدمي! أن تعطيني المهلبية ونشاهد الأرض ونضحك، أليس كذلك؟ يا جبرائيل باشا، أضرب هذا الذباب ليذهب إلى شأنه! يا للحيوانات المزعجة التي خلقتُها! بدلاً من مدح وثناء وشكر خالقها أزعجتني بشدة».

جبرائيل باشا: «مولاي، رُش قبضة ماء على وجهك، فشارباك ولحيتك تلوثت بالمهلبية لذلك شمّ الذباب رائحة الحلوى». (يذهب ويرفع قطعة من الكارتون وينفض ترابها ويكش الذباب).

خالقوف: «إذهب الآن واجلب المرآة الكبيرة هنا! واجلب الطين الذي بلّلته على ظلفة الباب أيضاً! ». (يذهب جبرائيل باشا ويجلب ظلفة الباب التي كان قد تخمّر عليها الطين على هيئة «آدم»).

(يمسح خالقوف نظّارته وينظر مستغرباً. وينادي بلهجة آمرة): جبرائيل!

جبرائيل باشا: «نعم يا مولاي!».



خالقوف: «قُل لي هل وضعت نفسك مكاني؟ هل خطرت فكرة منافستي على بالك؟».

جبرائيل باشا: «من أنا لأتجرّأ؟».

خالقوف: «إذن من صَنع هذا الطين على هيئتي؟».

جبرائيل باشا: «ماذا أقول؟».

خالقوف: «يا للشيطان، قل لي الحقيقة وإلا فأنت تعرف ماذا أفعل بك!».

جبرائيل باشا (يضع يده على جبينه): «آه، لقد تذكّرت. أمسِ كنتَ قد نمتَ على كرسيّك، وعندما دخلتُ إلى الغرفة رأيتُ القردَ يقلّد أداءك وقد رفع المالج وينظر إلى نفسه في المرآة الكبيرة وكان منشغلاً بهذا الطين. ما أن شاهدني حتّى رمى الأدوات وهرب».

خالقوف: «لم يصبح سيئاً، بالمقابل لقد تقدّم عملنا. ولكن كي لا يكون مُساوياً لي سأجعل يده ناقصة حتّى لا تكون يده قادرة على العمل، لنعمل الآن!». (يجلس خالقوف أمام ظلفة الباب ويصقل وينفخ).

جبرائيل باشا: «ليرحم الله والد القرد إذ سهّل عملنا!».

خالقوف (يضحك): «اجلب الناي!» (يُخرج منديله



الحرير ويضعه على وجه «آدم» ويتناجى مع نفسه هامّاً. يجلب جبرائيل باشا الناي ويأخذه خالقوف وينفخ في «آدم». يتحرك «آدم» ويفتح عينيه. يتهافت جميع الملائكة والحوريات أمام الورشة ويتصاعد صوت «أحسنت، أحسنت»).

خالقوف (يبتسم متكبّراً): آدم!

يقفز بابا آدم من مكانه، ويعوي.

خالقوف (يتقدم): «يا آدم، تعال عندي!».

بابا آدم: جوعان، جوعان! (ويضرب بيديه على بطنه).

خالقوف: «تقدّم، تعال عندي واسجد! سوف آمرُ أوّلاً أن يغسلوا يديك ووجهك ويمشّطوا شعرك ثم أرسلك إلى الجنة لتأكل أفضل الأطعمة. ولكن حذارِ أن تأكل القمح، فإذا أكلت القمح سنتخاصم وأعطي أمراً بطردك من الجنّة».

(يلطم بابا آدم رأسه مرّتين بهيئته المخيفة وجسمه المشعّر وعينيه الجاحظتين وينتف شعره بقبضتيه).

بابا آدم: أنا جائع، أنا جائع! (ويشير بأصبعه إلى بطنه).

(يُسدل الستار. ويأتي من خلفه بكاء بابا آدم وصُراخ «أنا جائع!»).




مكتبة
الفكر الجديد

المشهد الثالث

يبدو واضحاً أفقُ الأرض البعيد، والغابات القصِيّة، وثمّة جبل، وغيمة سوداء في السماء وقد خرج جزء من القمر من ورائها. وكان يُسمع صخب مخنوق للطيور والحيوانات الأخرى. وكانت الحيوانات الكبيرة عديمة التناسب تُظهِر نفسها من بين الأشجار، وكان بابا آدم على هيئة القرود الكبيرة المشعرة والسوداء ذات الكروش الكبيرة وله عينان خاملتان وشعر مشعّث، وهو يقف تحت شجرة توت عملاقة قريباً من ماما حوّاء التي شعرُ رأسها طويل جدّاً ويصل إلى الأرض. وكانت تقف هي الأخرى مبهوتة بقامتها القصيرة، ورأس كبير ووجنتين حمراوين وفم كبير، وثديين ومؤخرة بارزة.

ماما حوّاء (تلتفت إلى بابا آدم): «ليغمرني التراب، أرأيتَ كيف كان القرد يقلّدني!». (تجلس على الأرض وتجهش بالبكاء).

يهزّ بابا آدم غصن شجرة التوت فتسقط حبّات من التوت



على الأرض. تفرك ماما حوّاء عينيها وتجمع التوت وتحشرها في فمها. ينظر بابا آدم إلى ماما حوّاء بإعجاب ويبتسم.

ماما حوّاء: «كم هو لذيذ! لم تكن هذه الفاكهة موجودة في الجنّة».

بابا آدم: «أرأيتِ كم كنّا مرتاحين في الجنّة؟ اللعنة على أبي مسيو شيطان الذي خدعنا».

(امتلأ فم ماما حوّاء بالتوت الملوّث بالتراب، وهي تهزّ رأسها.)

بابا آدم: «في الجنّة كنّا نشير إلى شجرة الإجّاص فتُقطف فاكهتها وتأتي إلى فمنا مباشرة، ولكن هنا علينا أن نركض خلف كل شيء. والحيوانات الأخرى تنافسنا أيضاً، اللعنة على الشيطان!».

(في هذه الأثناء تظهر نعامة كبيرة تمشي الهوينى.)

ماما حوّاء (تنهض): «يا لبشاعتها! وما هذه؟ يا لضخامتها!».

بابا آدم: «هذه نعامة».

ماما حوّاء: «نعامة، نعامة؟ أنا خائفة».

(ينحني بابا آدم ويرفع حصاة ويرميها تجاه النعامة، فتبلعها.)



ماما حوّاء: «أرأيتها أكلت الحصاة؟ يا للبلاوي التي يرسلها خالقوف إلينا! لم تأكلنا الآن، فأسرع لنصعد الشجرة!».

(يحتضن بابا آدم ماما حوّاء ويتسلّقان شجرة التوت).

ماما حوّاء: «ألم أقل إنّ الجنّة كانت أفضل؟ سوف أُنادي الآن جبرائيل وأعتذر من خالقوف ليعيدنا إلى الجنّة، أو أتوسّل من جبرائيل باشا أن يرينا باب الجنّة! وإذا لم يسمح خالقوف لنا فأنا صديقة البوّاب وندخل خلسة».

(يضع بابا آدم يديه على طرفَي فمه ويهتف): «جبرائيل هو، جبرائيل هوا».

(تصمت جميع الحيوانات)

يأتي جبرائيل باشا بجناحين مفتوحين أمام آدم ويسلّم، وينزل آدم وحوّاء من الشجرة.

بابا آدم: «اعذرنا كثيراً يا سيّد جبرائيل إذا أتعبناك. أتوسّل إليك، إعمل شيئاً من أجلنا! أوصل تحيّاتي إلى خالقوف واسأل عن صحّته كثيراً واعتذر على شرط أن يعيدنا إلى الجنّة. والله، لم يكن ذنبي فمسيو شيطان خدعني وقال: «كُلْ قمحاً فهو لذيذ»! وأنا أكلتُ أيضاً. ولم أكن أعلم أن خالقوف كان متخاصماً مع الشيطان. نحن لا يمكننا أن نعيش

هنا، فالسيدة حوّاء لم يواتِها النوم ليلة أمس. وهذا لا يصحّ، وهل كان خالقوف عاطلاً عن العمل ليصنعنا؟ وهل أمرناه نحن أو توسّلناه أن يخلقنا؟ والآن إذ فعل لماذا أرسلنا إلى الأرض؟».

جبرائيل باشا: «لا تقلقا! فخالقوف نفسه ندم لفعلته، وليلة أمس كان يبكي بجواري بشدّة. واليوم هو أيضاً ليس بمزاجٍ جيّد، وهو غاضب بشدّة كالبركان الثائر، ولا يتجرّأ أحد على الاقتراب منه. وأمطرني صباحاً بوابل من الشتائم وكلّ هذا بسببكما، فلو لم تكونا تناولتما القمح لما صار هكذا!».

ماما حوّاء: «يا سيّد جبرائيل، دخلنا أنا وبابا آدم ليلة أمس في شقّ ذلك الكهف. (وتشير) وكانت هذه الحيوانات تعوي وكنتُ خائفة. اليوم قُلتُ لبابا آدم: «لنصنع وكراً لأنفسنا في أعالي شجرة جوز الهند مثل هذه القرود»! قُل لخالقوف: «ليبني قصراً من الفيروز لنا، مثل تلك القصور الموجودة في الجنّة!»».

بابا آدم (مخاطباً جبرائيل باشا): «أقسم عليك بشهامتك، نحن مدينون لك، إفعل شيئاً. لأذهب أنا إلى جهنّم، ماذا أفعل بالسيدة حوّاء؟».

جبرائيل باشا: «ما باليد حيلة».

بابا آدم: «إذن قل لخالقوف أن يعيدنا إلى وضعنا الأول فنحن لم نطلب منه أن يخلقنا ويستعرض قدراته، والآن إذ فعل ليصب بالعمى ويتحمّلنا!».

جبرائيل باشا: «أتعلمان ماذا؟ فخالقوف كلامه قاطع، وإذا استمع إلى كلامكما سوف تعترض جميع حيوانات الأرض».

ماما حوّاء (تعضّ لسانها وتنظر إلى آدم بنظرات محذّرة): «هل كفرتَ مرّة أخرى؟! يا سيّد جبرائيل لا تقل هذا لخالقوف، فآدم أخطأ كثيراً».

جبرائيل باشا: «آه، لقد امتلأت أذنا خالقوف من هذا الكلام، فمنذ ذلك اليوم الذي بدأ بالخلق استعدّ لتحمّل الكثير من الشتائم».

ماما حوّاء: «يا سيّد جبرائيل أنت إنسان طيّب جدّاً. كلاّ، أنت ملاك جيّد جدّاً. لأخبرك شيئاً، أنا وبابا آدم كُنّا واقفين فجاءت نعامة ومرّت وابتلعت حصاة كبيرة، يا لكبرها».

جبرائيل باشا: «كونا عبدَيْ خالقوف غير الشاكرين مرة أخرى!».

بابا آدم: «ليكن الكلام بيننا قُل لي لماذا قام خالقوف، على حدّ زعمه، بخلق هذه الحيوانات؟».

جبرائيل باشا (يضع إصبعاً على شفته): «لا تخبر أحداً، ليكن الكلام بيننا، هو أيضاً لا يعلم وقد ندم أيضاً. أتعرف أنه خلق جميع هذه المخلوقات ليجلس ويأكل المهلبية ويتفرّج ويضحك».

ماما حوّاء: «لا تستمع لكلام آدم، بالتأكيد الأمر هكذا أفضل جداً. أهه، نحن لا نريد أن نعود للجنّة، لم نكن مرتاحين هناك فكان يزعجنا إسرافيل بيك بفمه القبيح وينبق أمامنا فجأة. فبمجرّد ما كنّا نتكلم معاً أو نمزح كان ينفخ في البوق ولم يكن يسمح لنا أن نستمتع معا، أليس كذلك يا آدم؟».

جبرائيل باشا: «من الواضح أنكما بدأتما بالتعوّد شيئاً فشيئاً، لم تكونا راضيين في الجنّة وهنا أيضاً لستما راضيين. ولن تكونا راضيَين أبداً».

بابا آدم: «كلّ ما يسعدني هو حوّاء هذه».

ماما حوّاء: «في المقابل أنا أحبّك أيضاً».

(ينظر جبرائيل باشا إلى ماما حواء من فوق رأسها إلى أخمص قدميها، يبدو وكأنّ حوّاء خجلت فذهبت وقطفت ورقة من شجرة التوت وغطّت نفسها).

جبرائيل باشا: «من أجل أن تكون لديكما علاقة بالحياة يريد خالقوف أن يعطيكما طفلاً».

ماما حواء: «طفل، طفل، ما هو الطفل؟»

جبرائيل باشا: «مخلوق مثلكما، حوّاء صغيرة أو آدم صغير. ثم يكبر وتتعبان كلاكما من أجله وتحبّانه ولأجله تتعلّقان بالحياة».

بابا آدم: «مرةً أخرى حيلة جديدة! ألم يكفِ لخالقوف أن يخلقنا والآن يريد أن يجعل جمعاً آخرين منّا تعساء؟ وماذا أذنبنا؟».

ماما حوّاء: «خالقوف يعرف أفضل منّا. أنت تقول الصدق يا سيّد جبرائيل. أوصل تحيّاتي إلى خالقوف. الحقّ مع خالقوف، لم يمرّ وقت طويل على طردنا من الجنّة (وتشير إلى آدم) فأنت تتركني وتذهب هنا وهناك وأنا أبقى وحيدة. في النهاية أريد شخصاً يكون معي وأحبّه، فالنعامة لا تستطيع أن تتكلّم معي وأنا لا أحبها أيضاً».

بابا آدم: «كم هو جيّد أنّك تعلّمتِ اليوم اسم النعامة».

في هذه الأثناء يأتي نداء من أعلى السماء: «جبرائيل هو، جبرائيل هو، هو . . . !».

جبرائيل باشا: «لقد ضجر خالقوف مرّة أخرى، إمّا يريد مهلبية أو يريد أن يلعب معي بنوى الخوخ ويصرخ. يا لنهايتنا وعاقبتنا! في الوقت الحالي أودّعكما! ناديا عليّ كلّما احتجتماني!». (ثم يختفي كالدخان ويذهب).

بابا آدم (مخاطباً ماما حوّاء): «كم ثرثرتِ كثيراً! كلّما أردتُ أن أُصلح الأمور لم تسمحي بذلك. يا للنديمة التي خلقها الله لي! يعني صنعكِ من ضِلعي الأيسر حتّى لا أكون وحيداً».

ماما حوّاء: «عفارم، يا للأكاذيب! قلتَ وصدّقتُكَ. الآن إذ لا تحبّني، سوف أغازل جبرائيل باشا. لو كان خالقوف يهبني طفلاً ما كنت لأتحمّل منيّتك. الآن تقمعني بقضيّة الضلع الأيسر؟ يا ليت كان خالقوف رمى ضلعك أمام النعامة. تفو على هذه الحياة! تفو، تفو!». (وتبصق على الأرض وتضع رأسها بين يديها).

بابا آدم (يربت على رأسها): «إيه، لقد فهمت بعض الأشياء!».

ماما حوّاء: «كنتُ أعتقد أنّك تحبّني، الآن أرى أنّي كنتُ مخدوعة. وتخرسني دائماً. وتتهرّب منّي بذريعة البحث عن خفايا ومخابئ الجنّة. أنا وحيدة، وأخشى هذه الحيوانات أيضاً». (تمسح دموعها بظهر كفّيها).

بابا آدم: «لقد كنتُ أمزح معكِ يا عزيزتي. أنتِ جميلة وأنا أحبّك. ألم أقل لك ذلك؟ لو لم تكوني موجودة لمتُّ من وحدتي».

(تغرب الشمس، ويضيء القمر بوجهه المخيف ويرتفع من جهة السماء. يُخرج فيلٌ رأسه من بين الأغصان ويشخر. يصعد آدم وحوّاء على شجرة التوت وترمي حوّاء نفسها في حضن بابا آدم).

بابا آدم: «مع أنّ الحياة هنا مليئة بالركض هنا وهناك والصراع، ولكنّها أفضل من الحياة الرتيبة وعديمة الطعم في الجنّة. كدتُ أختنق في الجنّة فحياة الكسل والأكل والنوم تتعب المرء أسرع. لا أعلم كيف بقيت هذه الملائكة حتّى الآن في الجنّة؟!».

ماما حوّاء: «كم هو جيّد أنّهم طردونا من الجنّة. فعلى الأقلّ هنا ما من مراقب علينا، ونستمتع ونحن مرتاحين معاً».

بابا آدم: «قرّبي شفتيكِ، فالقصد من الخلق هو هذا». (يتقدّم بابا آدم إلى الأمام ويقبّل ماما حوّاء بقوة. وتمدّ ماما حوّاء يدها وتسحب غصن شجرة أمامها وتختفي خلف الأوراق).

(تُسدل الستارة. ومن خلفها يختفي صوت صُراخ الحيوانات وعويلها.)

المحتويات

نبذة عن المؤلف ٥

القسم الأول

البعثة الإسلامية إلى البلاد الإفرنجية

(رواية)

الفصل الأول ١٣

الفصل الثاني : المعرض الشرقي ٣٣

الفصل الثالث : خمّارة الميسر ٤٩

القسم الثاني

«أسطورة الخلق»

(مسرحية)

الشخصيات ٦٥

المشهد الأول ٦٧

المشهد الثاني ٧٩

المشهد الثالث ٨٧

هذا الكتاب

يعتبر صادق هدايت (١٩٠٣ طهران - ١٩٥١ باريس) من أهم كتّاب اللغة الفارسية المعاصرين على الإطلاق. وتأتي روايته «البومة العمياء» في مقدمة أعماله القليلة جداً وقد صدرت عام ١٩٣٦ لأول مرّة بخط يده في مدينة بومباي بالهند. شملت كتاباته القصة القصيرة والمونولوج الغنائي الساخر والمسرحية، والمقالة الأدبية و/أو العلمية والسياحية، كما كتب في التاريخ والتحقيق العلمي والترجمة من التراث البهلوي فضلاً عن كونه رساماً. ولكن مأثرته المهمة تبقى في مجال الرواية: فهو أول من كتب رواية حديثة في الفارسية، لذا استحق أن يُعتبر مؤسس الرواية الفارسية الحديثة، كما كان محمد علي جمال زاده مؤسس القصة القصيرة الحديثة.




ISBN 978-9933350062
9 789933 350062

